

الناشر : مكتبة النهضة - بغداد

مجيد حمدي

عراقي
في الصين الشعبية

◆

مطبعة البرهان ـ بغداد

هذا الكتاب

١ ــ تسجيل لمشاهدات حية عن الصين الشعبية .
٢ ــ يحتوي على معلومات قيمة عن الشبيبة والطلبة في الصين .
٣ ــ يحتوي على معلومات دقيقة عن المزارع التعاونية .
٤ ــ تقرأ فيه طرائف عن سجن بكين المركزي .
٥ ــ يحتوي على معلومات مفصلة عن اهم صحف الصين ـ جيمنجهباو ـ جريدة الشعب اليومية .
٦ ــ يوضح لك بالوقائع تطور الصين الشعبية في ظل النظام الاشتراكي .
٧ ــ وفيه طرائف عن الحياة في الصين الشعبية
٨ ــ انه ليس دراسة وافية مفصلة قدر ماهو تسجيلات حية لحياة المجتمع الصيني .

تقديم ..

هذه مشاهدات عابرة قدمتها لك وهي لاتمثل سوى جزء صغير مما شاهدناه وتأثرنا به فيزيارتنا التي استغرقت اقل منعشرين يوماً للصين الشعبية في تموز عام ١٩٥٧ ،

وما كنت انوي ، وانا في الصين ، ان اجمع كل المستلزمات المطلوبة لتأليف كتاب كامل عن الصين ونشره ، لأن الحكم الرجعي الاسود الذي كان ينيخ بكلكله علىبلادنا العزيزة لم يسمح لنا بان نأمل في القريب أن تكون لنا مثل هذه الحرية .

وما كان بالامكان ادخال أية صورة أو مذكرات عن الصين وإلا اعتبرت مستمسكات جرمية يكون جزاؤها السجن لامحالة .

ومع ذلك فانت أمام صور متناثرة عن المسائل التي أثرت في اكثر من غيرها واني اظنك ستجد في قراءتها الفائدة مقرونة باللذة ، فانا لم أسق موضوعات منظمة عن تطور المجتمع الصيني والثورة الصينية بل قدمت مشاهدات حقيقية مدعومة في اكثر الاحيان بالارقام والوقائع .

إن شعبنا العراقي يكن اعمق الحب لشعب الصين ، فليس في

تاريخ العرب والصينيين القديم والحديث اي عداوات او مصالح متضاربة ، بل العكس ، تربط العرب والصينيين روابط متينة من الصداقة والاخوة والتجارة المتبادلة في القديم ومن الكفاح المشترك ضد الاستعمار والاقطاع والدفاع عن السلم العالمى الآن .

ان هناك تقارباً كبيراً بين العرب والصين .

فكلا الشعبين من الشعوب الكبيرة التي ابتليت بقرحة الاستعمار والاقطاع والرجعية الخائنة ، وكلا البلدين حارب وضحى واجتاز طريقاً شاقة طويلة مريرة في سبيل استقلاله وحريته .

ولا تزال الصين لم توحد بلادها ، فهناك جزر تايوان وماسو وكيموي تسيطر عليها عصابة كايشك الخائنة المسنودة بحراب الاستعمار الامريكي ، وهناك جزيرة هونكونك وكولون المستعمرة الانكليزية .

وكل هذه الاجزاء من الوطن الصيني لاتزال غير محررة وهذا الوضع يشبه وجود القوات الامريكية في الاردن ولبنان لاسناد حكومات رجعية خائنة .

كما يشبه وجود اجزاء هامة من الوطن العربي في جنوبي الجزيرة ومستعمرة عدن لاتزال تئن تحت حكم الاستعمار الانكليزي .

ان الشعب الصيني قد وقف معنا في المحن ، فقد ناضل الشعب الصيني ابان العدوان الثلاثي على شقيقتنا الكبرى مصر فقامت

المظاهرات الجبارة وجمعت التبرعات واستعد المتطوعون وعددهم ربـــع مليون شاب للتطو ع والقتال بجانب العرب ، وكانت الصين الشعبية من اوائل الدول التي بادرت للاعتراف بجمهوريتنا العراقية الفتية وهددت بارسال المتطوعين للقتال بجانب الشعب العراقي المتحرر اذا سولت للمستعمرين انفسهم بشن العدوان على الجمهورية العراقية العزيزة .

لقد قاسى الشعب الصيني الامرين من تقسيم بلاده بين اللصوص المستعمرين ، ومن الغزو الياباني والحكم الرجعي المتفسخ حـــكم الـــكومنتانغ الخائن . .

ولــكن الشعب الصيني البطل اختـــار طريق الحرية وطريق الثورة ومنذ عام ١٩٢٧ ، اي منذ ان خان شيا نـكايشك وعادى مبادىء صن يات صن الوطنية . أخذت الثورة الصينية طابعـــاً آخر ، فحشد الحزب الشيوعي الصيني المجيد وراءه كل طبقات الصين : الطبقة العاملة والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية واســـتمر مخلصاً بالثورة ضد الغزو الياباني وضد طغمة كايشك ، وذهب الملايين قرابين لهذه الثورة الطويلة .

واخيراً . .

وفي ١ تشرين الاول من عام ١٩٤٩ حرر جيش التحرير الشعبي الصيني جميـع البر الصيني واعلنت جمهورية الصين الشعبية الظافرة ، بعد ان انتصرت الثورة الوطنية الديموقراطية ، وراحت حكومـــة

الجمهورية الشعبية تحقق شعارات الثورة الوطنية الديموقراطية :

٨ ساعات عمل ، نزع اراضي الاقطاعيين واغنياء الفلاحين بلا مقابل ، وتوزيعها على فقراء الفلاحين ممن لا يملكون الارض . الحريات السياسية ، تصنيع القطر ، حل مشاكل الشعب المعاشية . سحق العدو الداخلي ، نشر الثقافة الوطنية الديموقراطية .

وانجزت شعارات الثورة الوطنية الديموقراطية في ١٩٥٣ وبدأت الثورة الثانية : الثورة الاشتراكية فانتقل المجتمع الى المرحلة الاشتراكية .

وراحت الاشتراكية تبني في المدينة والريف :

توسيع قطاع الدولة في الصناعة والتجارة ، دخول الدولة كشريك في المصانع الرأسمالية ، حيث تكون الدولة شريكاً في ملكية المصنع والانتاج على ان يتقاضى الرأسمالي صاحب المصنع ٥ ٪ من الارباح لغاية ١٩٦١ وبعدها وفي هذه السنة يصبح المصنع ملكاً الدولة ويتحول الرأسمالى القديم الى مدير للمصنع أو موظف حكومي فيه ، ان كان شخصاً صالحاً لايعادي النظام الاشتراكي .

وجمعت عشرات الملايين من محلات الحرفيين الصغيرة المتناثرة في تعاونيات الحرفيين .

ولكي تنتصر الاشتراكية في المدينة كان لابد من ان تنتصر في الريف وهذا ما كان ، فقد انتشرت المزارع التعاونية باشكالها الثلاثة

البسيط والمتوسط والعالي في جميع الاراضي الصينية وانضم اليها اكثر من ٩٥ ٪ من فلاحي الصين ، وهذا انتصار ساحق كما نرى ، لانراه في كثير من بلدان الديموقراطية الشعبية في شرقي اوروبا .

ان القضاء على الاستغلال الطبقي ، محو استغلال الانسان لاخيه الانسان ، والقضاء على الفقر والامية والجهل ، وخلق المساواة التامة في الحقوق بين قوميات الشعب الصيني والامة الصينية .

ان انتصار الثورة الصينية العظيمة ، وانفلات اكثر من ٦٢٠ مليون انسان في قارة آسيا من قبضة الاستعمار والاقطاع والرجعية ودخولهم في معسكر الاشتراكية والشعوب . خروجهم من احتياطي للاستعمار الى قوة فعالة في معسكر الاشتراكية والسلم قد انزل ضربة صاعقة قصمت ظهر الاستعمار العالمي وزعزعت اركانه في آسيا والعالم كلـه .

واليوم تقف جمهورية الصين الشعبية العظيمة بكل قوتها وطاقاتها الهائلة مع الاتحاد السوفياتي وسائر المعسكر الاشتراكي قوة ضخمة ساحقة متفوقة بوجه الاستعمار وتجار الحروب وسنداً عظيما للسلم العالمي والديموقراطية والاشتراكية في العالم كله .

◆

عراقي في الصين الشعبية

من كولومبو الى هونكونك

كنا في مؤتمر كولومبو ، حضرنا مؤتمر السلام الذي انعقد في عاصمة سيلان في ١٠ حزيران ١٩٥٧ ، وما ان وصل الوفـــد الصيني الى كولومبو للاشتراك بهذا المؤتمر ، وكان برئاسة كوموجو ، حتى فوجئنا بزيارة برهان الدين شهيدي للفندق الذي كنا فيه (فندق مونت لافنيا) وكان هذا أول لقاء بين الوفود العربية وبرهان الدين شهيدي نائب رئيس الوفد الصيني للمؤتمر ، ورئيـــس اتحاد مسلمي كل الصين (ويبلغ عدد المسلمين في الصين حوالي عشرة ملايين) .

وبرهان الدين شهيدي رجل مرح يفيض عاطفه ونبلا وبساطة وكان في كل مرة يواجهنا فيها يقبلنا قبلات حارة أخوية تنم عن حبه للعرب ودار حديث قصير مع شهيدي وهو يحسن كلمات قليلة من العربية وبعض آيات من القرآن .

وكان أهم ما اذكره انه سألنا عن موقفنا في المؤتمر وصـراعنا

المقبل مع وفد اسرائيل (كان لاسرائيل وفد قوى برئاسةوزير الصحة وهو نفسه كان في الوزارة الاسرائيلية التي نظمت العدوان على الشقيقة مصر باشارة من انكلترا وامريكا) .

ولقد طلب شهيدي منا باسم الوفد الصيني ان نحدد موقفنا بوضوح من كل الامور ؛ وانه يعطينا وعداً بأسم وفد الصين ان وفد الصين الشعبية يتبنى مواقف الوفود العربية بحذافيرها وانه يؤيدنامطلق التأييد في كل ما سنراه ضرورياً للدفاع عن القضايا العربية . .

ثم توالت اجتماعاتنا مع كوموجو وشهيدي وبقية أعضاء الوفد الصيني.، وكان احداها حضورنا حفلة غداء في أحد الفنادق قدم لنا فيها بعض الهدايا منها نسخاً من القرآن مطبوعة في بكين طبعاً انيقاً دقيقاً .

وكان معروفاً أن العرب في مؤتمرات السلام وكل المؤتمرات الدولية الاخرى يجدون لهم اصدق الاصدقاء في شخص وفود الدول الاشتراكية . واولهم وفود الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية وسائر الدول الاشتراكية والمستقلة .

وكان مما يحز فى انفسنا نحن العراقيين على الاخص ، ان نجد حكومة العراق الخائنة آنذاك تتخذ مواقف العداء السافر من هذه الحكومات التي تؤيدنا أصدق التأييد وتفرح لانتصاراتنا كأنها انتصاراتها هي .

وليس بعيداً عنا كيف اخرج الخائن البائد نوري السعيد ، بأمر من أسياده ، سفير الاتحاد السوفياتي من بغداد واغلق السفارة السوفيتية بحجة الاقتصاد ! وكيف ظلت الصين الشعبية العظيمة بملايينها الستمائة وطاقاتها الهائلة غير معترف بها ، الى ان قامت ثورتنا التحررية العظمى المجيدة في ١٤ تموز فصححت تلك الاوضاع المخزية وارجعت العلاقات مع الاتحاد السوفياتي واعترفت بالصين ، وكلنا يعرف المواقف الشريفة الاخوية التي وقفها الاتحاد السوفياتي والصين وسائر الدول الاشتراكية التي بادرت بالاعتراف بجمهوريتنا الفتية في أيامها الاولى فبرهنت بذلك عن اخلاصها وصداقتها المنزهة الصادقة البريئة من أي غرض سوى خدمة السلام العالمي وتعزيز العلاقات الاخوية بين الشعوب .

واخبرنا الدكتور مصطفى أمين ، رئيس لجنة السلام في الاقليم السوري أن الصينيين ينوون دعوتنا لزيارة الصين الامر الذي لم نكن نتوقعه .

وفعلا تحقق ذلك ودعينا لزيارة الصين بعد انتهاء مؤتمر السلام في كولومبو .

وكان سرورنا لا يوصف ، لأن زيارة الصين أمنية من أعز أمانينا . فهي فرصة العمر بالنسبة لنا وللقاريء الكريم ان يتصور المسألة في تلك الظروف حيث كانت حكومات العهد البائد تعتبر الوصول للصين

او أي بلد اشتراكي جريمة ، وكنا نعلم اذاً ان لهذه الزيارة ثمناً سنؤديه اذا انكشف امرنا .

وكان لابد ان يعطى لنا تأشيرات مرور الى هونكونغ المستعمرة الانكليزية .

وبعد التغلب على بعض العقبات حصلنا على الفيزة ووصلنا الى هونكونغ بالطائرة . .

أربعة أيام في هونكونك

وهونكونك هذه مستعمرة انكليزية وهي ارض صينية وشعبها من الصين ، وكانت بريطانيا قد اجبرت حكومات الصين بعد حرب الافيون عام ١٨٤٢ على تسليمها لبريطانيا فاستحالت الى مستعمرة بريطانية خالصة ، وتتكون هونكونك من جزيرة هونكونك وارض تدعى كولون متصلة بالبر الصيني . وعدد نفوس المستعمرة قرابة ٢،٥ مليون نسمة اكثريتهم الساحقة من الصنيين وفيهم مهاجرون من مختلف الاجناس وهي منطقة دولية حرة ، والبضائع فيها رخيصة وتتجلى قيمتها بانها ميناء دولي هام جداً ، وتعتمد على التجارة وفيها بعض الصناعات كصناعة النسيج والورق .

لقد اعجبتنا هذه المستعمرة بجمالها الفتان ، كما حز في قلوبنا ان هذه الارض الصينية لاتزال لحد الآن رغم قربها من البر الصيني وكونها

ارضاً صينية من الازل ، لاتزال لحد الآن مستعمرة لبريطانيا ، وتمنينا في انفسنا ان ترجع هذه البلاد المغتصبة الى الوطن الام المتحرر الصين الموحدة الشعبية الاشتراكية المزدهرة السعيدة .

ان الزائر يستطيع ان يقتبس الكثير من الملاحظات المقارنة بين الحياة في هذه الارض التي لا تزال مستعمرة وبين الحياة في الصين المحررة .

ففي هونكونك ينتشر القمار انتشاراً فظيعاً ويتفشى البغاء ، وتكثر عصابات الاجرام على طراز عصابات شيكاغو ، ويكثر المتسولون الجياع ، - ويضطر معظم الناس للتكلم باللغة الانكليزية لانها اللغة الرسمية لحكومة المستعمرة - ويرتفع العلم الانكليزي ، ويتجول الشياطين الانكليز ، وتنتشر المعسكرات للجيوش المحتلة في اماكن متعددة .

ان هذه المستعمرة ، اصبحت وكراً لعصابات شان كايشك المهزوم في جزيرة تايوان ، فمن هناك ينظمون عصابات التجسس والقتلة المجرمين ويدسونهم الى الصين بقصد التخريب .

وكم كانت دهشتنا عظيمة عندما حذرنا احد الاصدقاء الا نتأخر ليلا خارج البلدة خشية الا نقع ضحية احدى عصابات النشل والسرقة والخطف .

ومن اعجب ماشاهدناه في هونكونك هو الجبل الذي يطل على المدينة والبحر وقد انتشرت على سفحه وقمته الاشجار والحدائق الغناء

وحفرت في سفوح الجبال اجمل القصور التي يسكنها السادة الانكليز .

ويوصل المدينة بالجبل ترام كهربائي وهو صاعد نازل ، وهو شيء مدهش لم نر مثيلا له لحد الآن .

من هونكونك الى كانتون

تبعد كولون ـ وهي جزء متصل بالبر الصيني من مستعمرة هونكونك ـ بضعة عشرات من الكيلومترات فقط ويمكن قطعها بالقطار الى كانتون في اقل من ثلاث ساعات .

ركبنا القطار الذي سيوصلنا بعد بضع ساعات الى ارض الصين الشعبية العظيمة ، ارض الاشتراكية الظافرة في اكبر قطر في آسيا والعالم ، ارض الابطال العظام ماوتسيتونغ وشويته وشوالاي ولي شاوشي وغيرهم .

القطار مكتض بالركاب ، الوف الناس من النساء والرجال يحملون امتعتهم على طرفي عصا طويلة موضوعة على كتفهم ، يزحفون بالالوف ليستقلوا القطار الى ارض الصين .

ووزع علينا الشاي الصيني ، وهو اصفر شفاف وبلا سكر يصبون لك كأساً فاذا افرغتها في جوفك بسرعة فاجأك الساقي بقوري كبير مليء بالشاي وملاء كأسك الفارغة ، فاذا شربتها ايضاً ملأها لك وهكذا مرات لاتنتهي . وعلى كل راكب ان يدفع اجرة القطار مقداراً

زهيداً لايزيد عن ٤ فلوس حتى يتمتع بشرب الشاي طول الطريق بلا انقطاع .

وفي القطار سماعة الراديو ، تسمع منها الموسيقى الصينية العذبة والاحاديث .

واخذنا نتجول من حافلة لاخرى لنحدق بوجوه الناس وملابسهم وما يتشاغلون به والخ . كأننا جياع الى هذا النوع من البشر الغريب المحبب الى قلوبنا ، صانع البطولات الخارقة ، محطم اقوى دولة رجعية مستندة لأوحش استعمار هي عصابة كايشاك المسنودة بحراب الامريكان ، نعم اننا جياع الى هذه الوجوه البسيطة وهولاء النحاف القصار الاذكياء الصبورين الجلدين .

وفي القطار كان معنا دليل من اتحاد الشبيبة الديموقراطية نساله ويجيب .

وكلما مررنا بمحطة قفزت قلوبنا فرحاً ، هل وصلنا الحدود حقاً ، أحقاً اننا سنصل الصين بعد بضعة دقائق .

ومرت الدقائق . . ووقف القطار . . هذه آخر محطة على الحدود هانحن الآن على الحدود ، واقتربت الشرطة الشعبية الصينية ، وهذا هو العلم الاحمر .

ونزلنا بسرعة وهرعنا بلا شعور نريد التحديق برجال القوات المسلحة هؤلاء الاشداء رغم نحافتهم وتواضعهم ، وسلمنا عليهم وردوا

تحياتنا بابتسام وتحيات حارة وصفقوا لنا .

ودخلنا الارض الصينية . . هـذه ارض الصـــين الشعبية ، وافرحتاه ! ان انشراحاً عميقاً يملأ صدورها ، ويستخفنا فرح غامر عجيب الآن ، نحن احراراً حقاً ، والاكثر اننا على ارض اشتراكية وبالنسبة لي كانت هذه اول مرة تطأ قدماي ارض بلاد اشتراكية .

نحن هنا احرار باوسع معاني الـكلمة نتنفس بملء حريتنا ونتنسم عبير الاشتراكية الظافرة انه لتحول عظيم ، فلقد فتحنا عيوننا على الحياة في بلاد يحكمها أوحش عملاء الاستعمار ، طغمة نوري السـعيد وعبدالاله وسيدهم الاستعمار ، فلم نعش لحظة في بلادنا احراراً ولم نتذوق طعم الحرية ولا يوماً واحداً .

واي فارق بين بلادنا المستعبدة وهذه الارض الحرة الاشتراكية ! (لاتنسى اننا في عام ١٩٥٧ قبل ان تتحرر بلادنا بثورة ١٤ تموز التحررية العظمى التي حررت بلادنا وكسرت ابواب السجن الـكبير) .

وعدنا الى القطار ثانية ، هذه المرة ينساب القطار بارض صينية . الحقول الخضراء على الجانبين ، القرى الصينية كثيرة بعـدد الحصى ، بالالوف . . ولم نمر الا بجزء ضئيل منها . واخيراً وصلنا كانتون . . ظهراً ..

فى كانتون

استقبلنا في المحطة جمع غفير من ممثلي المنظمات الاجتماعية ممثل لجنةالسلام ، والشبيبة الديمقراطية ، وعمدة البلدة وعدد من الشخصيات الاسلامية وغيرهم .

وبين المستقبلين عدد من الفتيان يحملون باقات الزهور ، كان استقبالا اخوياً حاراً .

وركبنا السيارات الى الفندق . وهناك لقينا اخواننا الاردنيين والمصريين قد سبقونا في الوصول عن طريق آخر .

وخرجنا عصراً نتجول في البلد . الطابع العمالي المتواضع هو الطابع الغالب على معظم الناس ، تكاد تكون الملابس واحدة من حيث الجودة ، والشوارع المكتظة بالعمال الخارجين من عملهم والآخرين الذاهبين للعمل ، السيارات قليلة ولاسيما الخصوصية ، معظم الناس يركبون الدرجات وتجد زحفاً من الدراجات لايحصى له عد .

واتجهنا الى احد المخازن الحكومية الكبرى ، انه عدة طوابق وتجد في كل طابق انواعاً معينة من السلع ، كلها صناعات صينية انشئت بعد التحرير . المنسوجات بأنواعها ، الساعات ، الراديوات ؛ الآلات

الدقيقة ، اواني الاستعمال البيتي ، العاب الاطفال ، وغـــيرها .
وغيرها .

ورحنا ندور على هذا المحل وذاك ، هذه البائعة وتلك ، لم يـكن واحد منهم يحسن الانـكليزية ولا أي لغة اخرى عدا الصينية ، على عـكس ما رأينا في الهند وسيلان وهونـكونك حيث المتكلمون بالانكليزية عدد يشكل نسبة عالية من السكان .

جميع الحاجيات مسعرة تسعيرة الحـكومة ، يكفي ان تؤشر على حاجة فيخرجها البائع ويـكتب لك قيمتها على وصل ؛ تأخذه وتذهب الى المحاسب لتسلم قيمته وتعود لحمل الحاجة .

والصينيون اناس قليلو الـكلام ؛ فعند خروجنا من المخزن وفي طريقنا للفندق مررنا ببائعة تحمل مناديل حريرية مطرزة ويقف امام البائعة اكثر من خمسين شخصاً يحدقون في المناديل وهم ساكتون بلا ضجة ولا لغط

جولة ليلية في كانتون بالركشا

ماهي الركشا ؟ انها عربة كان يجرها انسان بدل الحصان وهي تتسع لواحد أو اثنين ؛ ولا تزال هذه العربات التي يجرها الانسان كثيرة الاستعمال في سيلان ؛ والهند ؛ فعندما كنا في كولومبو او بومبي

شاهدنا العشرات وربما المئات من هذه العربات التي يجرها اناس عراة حفاف بؤساء .

وبعد تحرير الصين منعت الحكومة الناس من جر العربات باعتبار ان ذلك مهيناً لكرامة الانسان تلك الكرامة التي يقدسها النظام الاشتراكي ويعتبرها اغلى الكنوز التي تملكها الدولة والامة ؛ فالانسان وحياته وصحته وكرامته وسعادته هي مدار اهتمام النظام الاشتراكي ؛ وما المال والصناعة وجهاز الدولة سوى أدوات لتوفير السعادة للانسان ؛ لكل انسان بلا تفريق .

فالركشا في كانتون اذن لايجرها انسان بل تسحبها دراجة يوجهها سائق .

وخرجنا مساء وركبنا احدى الركشات وبدأنا التفاهم مع السائق بالاشارات اردنا ان نفهمه اننا نريد التجوال في المدينة ثم الرجوع لنفس الفندق ؛ لاننا اذا اضعنا الفندق فيستحيل علينا ايجاده اذ يندر جداً ان نجد شخصاً يحسن الانكليزية او العربية حتى نتفاهم ونطلب اليه ان يدلنا على الفندق .

ودارت بنا الركشا واستطلعنا المدينة ليلا ؛ فالاضواء قليلة وتكاد المدينة ان تكون شبه معتمة او قليلة الاضواء والنيون معدوم ولا توجد اعلانات ضخمة مكتوبة بساطع الانوار وتكاد الحركة تبدو خامدة في المدينة فالطابع العمالي يطبع المدينة وحتى بعض الشوارع تكاد

تخلو من المارة إلا ماندر وهنا وهنـــاك ابنية متواضعة جداً ؛ وعادية ؛ وفخمة .

ان مجموع المدينة لايظهر عليه الاناقة والترف ولا الفخامـــة والروعة كمدينة براغ او موســـكو او كييف مثلا ؛ يدلك على المستوى المدني الذي كان يعيشه شعب الصين أبان حـــكم عصابة كايشك والتخريبات الواسعة التي تركها للبلاد ؛ مما تسمي حـــكومة الجمهورية الشعبية الصينية جهدها لترميمه واقامته من تحت الانقاض .

ملابس الصينيين عادية ؛ لاتجد تلك الاناقة الباهرة على الاكثرية الساحقة في الناس ؛ فالناس هنا يبنون بلادهم وسعادتهم من الاسفل ؛ من الاساس ؛ ولقد تعلموا ان القشور الخارجية والبهرج الظاهر لايعني السعادة ولا الرفاه ؛ فكل جهود الشعب تنصب الآن على بناء الصناعـة وتحسين الثقافة والقضاء على بقايا الامية وتطوير الزراعة ؛ واقامة السدود انهم يعملون وفق برنامج منظم كشأن كل الانظمة الاشتراكية التي تخطط كل شيء وتضبط بيدها الانتاج وتوجه الاقتصاد .

ولما كنا قد وصلنا كانتون من هونكونك ؛ فقد لاحظنا الفرق بين بلدين ونظامين وعالمين . .

الفخامة والبهرج في هونكونك والبساطة والتواضع في كانتون الدعارة المتفشية ودور القمار والعصابات الليلية في المستعمرة الانـكليزية

وانعدام ذلك كلياً في كانتون .

لقد ادهشتنا متانة اخلاق الناس في كانتون ؛ لاتجد شيئاً اسمه دور الفجور ولا ذكراً للمقامرة ولا المتسولين وغير ذلك .

تجد هنا في كانتون الحدائق العامة للعمال وابناء الشعب وفيها كل ما يسلي الشعب ويسره ؛ وفيها المسارح الشعبية ودور الاوبرا .

ولقد علمنا فيما بعد ان في كانتون مدينة صغيرة ملحقة بها اسمها مدينة الملاهي .. وفيها كل مستلزمات الالعاب واللهو البريء والمسارح ودور السيما وغيرها .

واغرب ماشاهدناه في كانتون عدة تجمعات ضخمة من الناس متجمعين حول « السحرة » أي الذين يلعبون العاب الخفة ووقفنا بين جماعة من هذه الجماعات ؛ الساحر ومعاونوه يمزقون منديلا ثم يخرجونه من جيب احد الاشخاص ؛ يكسرون بيضة ثم يعيدونها الخ . من العاب الخفة التي تدل على مهارة فائقة معروفة عند الصينيين .

ولقد عجبنا لهذه المشاهدة . كيف لاتمنع الحكومة الشعبية الاشتراكية مثل هذه الالعاب ؟ هذا ماسألنا انفسنا عنه ؟

ولم نعثر له على جواب معقول الا بعد زيارتنا لمدينة شنغهاي حيث عرفنا ان التنويم المغناطيسي والعاب الخفة هي من جملة المواد التي يدرسونها للاطفال مع الموسيقى والرقص والتمثيل وغيره ؛ وفهمنا آنذاك السر في تعليمها للاطفال ؛ فهم يطلعونهم عليها حتى يتعرفوا بانفسهم الى

انها مسائل متعلقة بالخفة وليس في الامر اي عامل خارجي ؛ لا أرواح ولا شياطين ؛ وهم بذلك يقلعون الاعتقاد بها من اذهان الاطفال من الجذور .

هكذا يعالجون مسألة تثقيف الشعب لا بالقوة والاكراه بل بالتثقيف الصبور الطويل وباحلال التفكير العلمي محل الخرافات والاوهام والتقاليد .

من كانتون الى بكين

ان الصين بلد عظيم في المساحة ؛ شاسع الاطراف مترامي الابعاد فمساحتها تزيد عن ١١ مليون ميل مربع والانتقال بين مدينة واخرى بالقطار يتطلب يومين او ثلاثة ، لقد فضلنا الطائرة على القطار فطارت بنا الطائرة من كانتون في السابعة صباحاً ولم نصل بكين الا حوالي الرابعة مساء ، تخللتها استراحات قصيرة في المحطات .

أن رحلتنا الحقيقية ستبدأ ببكين ، عاصمة جمهورية الصين الشعبية . . واخيراً وصلنا بكين .

✻ اسبوع في بكين ✻

انقل هنا ما سجلته في مذكراتي في اول يوم وصولنا الى بكين :

✻ ٢٦ حزيران ١٩٥٧ في بكين . ✻

وصلنا بكين العظيمة في الساعة الرابعة مساء ، ها نحن اخيراً في بكين ، اجل نحن في بكين حقيقة لا حلماً .

نزلنا في فندق من اضخم الفنادق اسمه (فندق بكين) وحللنا انا واستاذ عراقي في الغرفة رقم ٤٠٥ .

وخلال مرورنا من المحطة الى الفندق اجتزنا اعظم شوارع بكين واسمه شارع السلام الدائم وهو اسم قديم لهذا الشارع الذي يعتبر اطول واعرض شارع في بكين كلها .

ولنتكلم قليلا عن الفندق : انه مثال في الفخامة والنظافة والجمال تقابله وزارة الوقود ووزارة سكك الحديد ان الفندق يتكون من عدة اجنحة اكتمل آخرها ـ وهو الجناح الذي نحن فيه ـ عام ١٩٥٤ .

مساء خرجنا من الفندق بصحبة دليلنا المستر « كاو » والمستر « ثي » الى دار قريبة من الفندق وكانت سابقاً دار لسفارة ايطاليا قبل التحرير . وعليها سبعة لافتات مكتوبة بالصينية : (جمعية الصداقة الصينية المصرية ، جمعية الصداقة الصينية البورمية ، جمعية الصداقة الصينية الهندية ، جمعية الصداقة الصينية الاندونيسية الخ . .) .

في هذه الدار عرض علينا فيلم اسمه (ضحية السنة الجديدة) القصة من تأليف الكاتب الصيني العظيم (لوسيني) الذي يلقبونه بغوركي الصين ، وهو معاصر وصديق لغوركي ومناضل عظيم في سبيل الحرية والحقيقة وكاتب قصصي كبير .

فتاة ارمل . تتفق حماتها مع اخ الزوج على تزويجها قسراً بمبلغ ويقررون الخطة والارمل التعسة لاتعرف عنها شيئاً ، وتشرع حماتها بتنفيذ الخطة ، وتشعر الشابة المترملة بالمؤآمرة المدمرة المدبرة على مصيرها فتقرر الهروب وتهرب . وتلجأ ، بعد حيرة قاتلة الى حافة احد الانهر ،

وهناك تلتقي بها احدى صديقاتها فتساعدها بتشغيلها في دار اقطاعي له ولد واحد . . اما الاقطاعي فيعارض في تشغيلها اول الامر ، لكن زوجته تقبل الخادمة الجديدة وترضى عن تشغيلها لانها شابة دؤوبة على الشغل والخدمة .

اما حماتها واخ زوجها فيفتشان عنها بالحاح وغضب واخيراً يعثر عليها اخ الزوج ، فيتفق مع جماعة من اصحابه ويأتون بقارب ويخطفونها عندما تكون على الشاطيء تغسل مواعين سيدها الاقطاعي المخدوم .

وتحاط الفتاة بزمرة فضة من قساة القلوب وتؤخذ قسراً ويلقون بها في السفينة باعتبارها هاربة ناشزة خرجت على التقاليد .

ونشاهد حفلا فلاحياً للعرس ونرى مدعوين كثيرين ونرى الهاربة وقد اتى بها مكتوفة اليدين وتحت الاكراه الى هذا الحفل ، وتقاوم السيدة الارملة ما وسعتها المقاومة ، وتقهر مقاومتها ، وتقع مغمياً

عليها والدماء تنزف منها .

وينفض الحفل ويتفرق المحتفلون فرحين . ولا يبقى الا الزوج بجانب السرير الذي انطرحت عليه الزوجة المكرهة وهي في غيبوبة بلا حراك وحالما تفيق تدهش وتذهل وتنتفض تريد الهروب اما زوجها فيخيرها بين البقاء والهروب ، ولكنه يذكرها انها لا تملك ملجأ لها وانه لامفر امامها : فاما الى اهلها — والمقصود بهم حماتها واخ زوجها الاول — واما الى قصر الاقطاعي من جديد .

لكن رقة الزوج معها تؤثر فيها وتفجر عندها الشعور باخلاص ونبل هذا الرجل فتغير رأيها فيه وتقبل به زوجاً . وتعيش مع زوجها هذا ، وهو عامل كادح ، يعيشان رغم الضائقة بهناء وحب متبادل وتنجب منه ولداً جميلا يكون سلواها وعزاءها .

ولكن الزوج مضطر على الكدح الثقيل لانه يريد سداد الدين لذي تراكم عليه عند المرابي وكان قد اقترضه ليدفعه الى حماة هذه المرأة واخ زوجها الاول .

ونتيجة للكدح الثقيل يقع ضحية المرض ، ويحين موعد دفع الديون ؛ فيأتي الاقطاعي صاحب الدين الى داره مهدداً اياه بالطرد من الدار اذا لم يدفع الدين .

ونرى هنا الزوجة تحنو على طفلها الذي افزعته غلاظة الاقطاعي ووحشيته مع ابيه المريض طريح الفراش فتخرج من الغرفة الى خارج

الدار لتبعده عن هذا المنظر البشع وتوصيه ان لايترك محله والا يذهب بعيداً عن الدار .

ويمضي الاقطاعي في قسوته على العامل المدين يسمعه الاهانات والتهديدات وقارص القول فيفقد العامل صبره وينتفض كمن لذعته ثعبان ويهم ببندقيته يريد قتـــل الاقطاعي وتهجم عليه زوجته تهدىء غضبه وتصبره .

ويخرج الاقطاعي من الدار ؛ ولـكن بعد ان يكون العامل قد فقد وعيه واغمى عليه من الغضب والـكمد والاعياء .

اما الطفل فـكان قد غادر محله وراح يركض وراء طـــير حتى يكون قد مضى داخل الغابة وهناك يلقاه ذئب فينهـــش لحمه الغض ويستسيغ الذئب لحم الطفل فلا يبقي من الطفل سوى حـــذائه الجديد الذي كانت امه قد قدمته له هدية لتفرحه به .

وتخرج الام فلا تجد طفلها وتصيح ثم تصيح ولا تسمع سوى صدى صحياتها الممزقة بالالم فتركض كالمجنونة بين الاشجار ويقـــع بصرها على زوج حذا الطفل ويسمع الاب فيتمزق غيضاً ويموت تحت وقع الصدمة .

مرة اخرى تعود المرأة الى الترمل والثـكل .

وتهرع تحت سائق الحاجة الى قصر الاقطاعي سيدها القديم ؛ لـــكن الاقطاعي يطردها ويمنعها من خدمته وتتعجب اشد العجب لذلك

رغم انها قد تفانت في خدمة هذا الاقطاعي .

وهنا ؛ وهي مطرودة من دار الاقطاعي تلقاها عجوز فتقدم لها حلا ينقذها من سيطرة الحظ السيء ان تذهب الى المعبد وتصلي ؛ وتذهب فعلا الى المعبد ؛ ويلقاها الكاهن ويطلب منها مقداراً من المال حتى يبني لها بوذا عتبة أو جسراً تعبر عليه الى الحظ الحسن .

ولكن من اين تأتي هذه التعسة بالمال ! انها تقتل نفسها كداً وعملا وتجمع الين فوق الين حتى تجمع المال الذي طلبه الكاهن ثم تركض فرحة وتسلمه للكاهن . . وبعد ان يتأكد الكاهن من عدم نقصان الكمية عما طلب يسمح لها بالصلاة فتصلي فرحة حاسبة ان الدنيا اقبلت عليها وان عهود النحس قد ولت ؛ وبعد اتمام صلاتها تذهب فرحة الى قصر الاقطاعي وتحمل اواني الطعام لتقدمه في حفلة عيد رأس السنة الجديدة .

وما ان يراها الاقطاعي وزوجته حتى يأخذ منهما الغضب ويطرداها شر طردة لكنها تخبرهم ان حظها لم يعد سيئاً كما كان لانها ذهبت الى معبد بوذا ؛ ويهزأ الاقطاعي وزوجته منها .

تفيق المرأة التعسة للحقيقة فتركض غاضبة الى معبد بوذا وتهم بتحطيمه وتحطمه فعلا وهي تصرخ به غضبى ؛ حتى بوذا نفسه لم يعد قادراً على انقاذي ! ؟

غير ان الكاهن يلاحقها ويطردها من المعبد ؛ وهنا تفقد عقلها

وتتحول الى مجنونة تهيم في الطرقات ذليلة كسيرة عرضـــة للزمهرير والجوع والبؤس .

واخيراً تسقط جثة هامدة . .

ونسمع الـكلمات الاخيرة من الفيلم : ولـكن هذا كلـه ذهب ولن يعود .

﴿ جدول للزيارات ﴾

لقد وضعنا نحن جدولا للزيارات وعرضناه على ادلائنا فاخذوا عليه الموافقة بنصه وكما وضمناه .

ثم تشعبت المناهج وصار كل منا يقدم طلبه الخاص فيلبى في الحال : واهم نقاط زيارتنا لبكين هي :

١ ـ جولة واسعة في البلد للتعرف عليها .

٢ ـ زيارة لبعض المعامل وقصور الثقافة .

٣ زيارة القصور الامبراطورية القصر الصيفي والقصـــر الشتوي .

٤ ـ مناقشة مع اتحاد النقابات لعموم الصين .

٥ ـ مناقشة مع وزيرة الصحة حول سـياسة ضبط النسل ومشكلة زيادة السكان .

٦ ـ زيارة اهم المتاحف ؛ ولا سيما متحف لوشين .

٧ — زيارة جامعة بكين .

٨ — مقابلة مع رئيس الوزراء شوآن لاي واخرى مع شوتيه وزير الدفاع والقائد العام .

٩ — زيارة لسجن بكين المركزي .

١٠ — مزرعة تعاونية في ضواحي بكين .

ويلاحظ هنا الحرية التامة التي منحت لنا في اختيار المحلات التي نريد زيارتها بلا اي تدخل من السلطات وهو دليل واضح لمسناه كل اللمس على ان حكومة الصين الشعبية ليس عندها ما تخاف من اطلاعنا عليه .

ان الثورة الوطنية الديموقراطية في الصين التي انتهت بالفوز الساحق في ١ تشرين الاول ١٩٤٩ قد نقلت الصين العظيمة بملايينها الـ ٦٢٠ من بلد شبه مستعمر وشبه اقطاعي ؛ تنخر فيه الامية والتأخر الشامل والبطالة والتفسخ الاجتماعي ؛ الى بلد اشتراكي مزدهر متحد يسير قدماً نحو تشييد صناعة حديثة اشتراكية وزراعة تعاونية وثقافة اشتراكية جديده .

وهذا ما نلمسه في كل خطوة نخطوها في الشارع ؛ وفي المعمل والمدسة ؛ وقصور الثقافة ؛ وفي كل مكان تجد الشعب المتحرر المنطلق ؛ المارد العظيم الذي انطلق من قمقم وراح يتمطى كعملاق عظيم ويضع وزنه الهائل في ميزان المعسكر الاشتراكي الجبار المناهض للحرب والاستعمار .

جولة في بكين

بكين مدينة كبيرة يسكنها حوالي ٤ ملايين من السكان وعندما تتجول فيها تلمس الميراث الثقيل الذي تركه نظام شيانكايشك على كاهل الصين الحديثة ؛ لقد ترك لها تأخراً شاملا وتخريبات واسعة وفقراً وبؤساً تنوء تحته مئات الملايين ، وملايين العاطلين عن العمل والوف المتسولين ؛ واقطاعاً عسكرياً شرساً حرم الفلاحين من أية حقوق في العيش الآدمي واستعبدهم شر استعباد حتى لقد صار الاقطاع في الصين مضرب المثل بقوته واستفحال امره وغطرسته وشراسته وضخامته ؛ وصار لكل اقطاعي بوليس خاص وقوانين عرفية يحكم بها وسجون واستقلال ذاتي وعلاقة شكلية بالحكومة المركزية .

هذا ما ورثته جمهورية الصين الشعبية عن النظام القديم ولقد تمت في السنوات التسع الماضية منذ التحرر انجازات عملاقة هائلة و بوتيرات سريعة جعلت الصين مضرب المثل في سرعة التقدم .

ان بكين منقسمة الى قسمين : البلدة القديمة بتأخرها وشوارعها الضيقة المتربة ومبانيها المتواضعة الرديئة . وبكين الحديثة ويفصل القسمين سور وباب كبير .. اما القسم الحديث فيمتاز بشوارعه العريضة النظيفة ومبانيه الجميلة الصحية وتنسيقه الفني البديع .

ولقد بذلت حكومة الصين جهودا جبارة لمكافحة الظروف غير الصحية المتروكة من السابق . . فهدمت الاقسام غير الصحية وخلصت المدينة من الازقة الضيقة الموحلة التي غدت مباءات الاوبئة والامراض الفتاكة وفرضت انظمة صحية صارمة ونظمت حملات جماهيرية واسعة لتعليم السكان وحثهم على مراعاة اصول النظافة والصحة وتقدمت في هذا المضمار خطوات واسعة .

ومن البديهي ان نهوض الصين وهي بلد شاسع ذو نفوس يزيدون على ٦٢٠ مليون نسمة لا يمكن ان يتم بمعجزة ولابد ان يستغرق زمناً طويلا .

شعب منظم يحرس نفسه بلا بوليس

ان الظاهرة التي لفتت انظارنا ونحن نتجول في شوارع بكين وميادينها هي ندرة البوليس في الشوارع ؛ فما عدا شرطي المرور في مفترق الشوارع الهامة لاتكاد العين تقع على شرطي أو مجموعة من الشرطة الا نادراً جداً .

فمن الذي يضبط النظام في هذه المدينة الهامة ؟ ومن يحرسها ؟

الجواب : ان الشعب المتحرر المنظم يحرس نفسه بنفسه .

فالشعب الصيني منظم كله ؛ للعمال نقابات ؛ للطلاب اتحادات الطلبة ؛ للنساء رابطة ؛ وكذا الكتاب والموظفون والحرفيون وحتى الاطفال ؛

هذا اضافة الى الحزب الشيوعي والاحزاب الاخرى .

ان المنظمات الشعبية هذه هي التي تنظم فعاليات كل الشعب باتجاه منسجم مع سياسة الدولة والحزب الشيوعي الصيني قائد الشعب والدولة المحبوب من كل السكان .

ومن النادر ان تجد في كل الصين رجلا او امرأة غــير منتمي الى احدى هذه المنظمات .

ان هذه المنظمات الجمـــاهيرية تعبيء قوى الشعب وتثقفه وتنظم حركته وتطوره العقلي بما يتفق وسياسة الدولة الصينية الاشتراكية . وهذا هو سبب المعنوية العالية التي يتمتع بها كل مواطن في جمهورية الصين الشعبية ؛ فكل فرد يشعر بمسؤولية المساهمة الفعــالة في بناء وطنه صناعياً وزراعيــاً ؛ وفق مخططات الدولة لنقل الصين الى دولة صناعية من الطراز الاول .

ورغم كثرة نفوس الصين ؛فان البطالة ـ هذا المرض المزمن الخطير الذي يلازم كل المجتمعات المتأخرة والرأسمالية ؛ عدا المجتمعات الاشتراكية ـ قد اختفت او كادت تختفي تماماً ؛ فانت لا تجـد حشود الناس تتسكع بلا عمل في المقاهي او تحتشد على ابواب الدوائر والمعامل تطلب العمل هرباً من الجوع ؛ كلا ؛ فان النهضة الصناعية الجبارة التي تنتهجهــا الحكومة الشعبية قد التهمت الايادي العاملة الفائضة واستثمرتها في الاعمار والبناء ؛ في الصناعة والزراعة ؛ وفي مختلف ميادين النشاط الاخرى .

في مكتب جريدة الشعب اليومية

((جيمنجهباو))

طلبنا زيارة جريدة الشعب اليومية — جيمنجهباو — فوصلنا المكتب واستقبلنا من قبل هيئة التحرير استقبالا حاراً اخوياً وجلسنا ومعنا كبار المسؤولين في الجريدة وبدأ رئيس التحرير يتكلم عن الجريدة فقال :

جريد الشعب الصينية هي لسان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني وهي ذات طابع جماهيري ويحق لكل فرد من الشعب ان يكتب فيها ويوجه الملاحظات وينتقد ماشاء .

مهمات الجريدة

١ — نشر الماركسية اللينينية والدفاع عن السلم العالمي .

٢ — توضيح سياسة الحكومة وتبسيطها للشعب .

٣ — نشر الحكمة الشعبية للعمل الخلاق .

٤ — تثقيف الجماهير بروح الاممية وتقوية الروابط مع شعوب

المعسكر الاشتراكي وسائر الشعوب والامم الاخرى ولاسيما الشعوب الشرقية في آسيا وافريقيا التي تكافح لكسب سيادتها الوطنية وتطوير اقتصادها الوطني .

وقال رئيس التحرير : ان الجريدة تؤآزر كل المؤازرة قضية الشعوب العربية في نضالها العادل من اجل التخلص من الاستعمار والتطور الاجتماعي وهذا ليس بدافع الصداقة المحضة فقط بل بل هو واجب حتمي على كل جريدة اممية كهذه .

الهيئة القائدة للجريدة : هما لجنة المحررين ، واللجنة العامة .

وتعني الاولى بمسائل التنظيم والتثقيف ،

والاخرى تهتم بتوجيه السياسة العامة للجريدة .

هناك عشرة دوائر تحت لجنة المحررين

١ — الصناعة والمواصلات .

٢ — الزراعة والتجارة .

٣ — السياسة الداخلية .

٤ — الشؤون الشرقية .

٥ — البلدان الغربية .

٦ — البلدان الاشتراكية .

٧ — الثقافة والعلم .

٨ — الفن والادب ·

٩ — الصحف المحلية ·

١٠ — قسم الابحاث ·

ويبلغ عدد الموظفين الاجمالي والفنيين والضاربين على الآلة الكاتبة « ٥٢٠ » شخصاً اما في دار النشر فيوجد ٤٠٠ عامل و ٣٠٠ يعملون في مسائل الادارة ويبلغ المجموع ٧٠٠ ·

لم يكن قبل تحرير بكين دار خاصة للجريدة وبعد التحرير امكن تأسيس هذه الدار التي نتكلم عنها عام ١٩٥٣ ·

سياسة الجريدة

تستند سياسة جريدة الشعب اليومية « جيمنجهباو » بصدد الشؤون الشرقية على المبادىء العشرة التي صدرت عن مؤتمر باندونغ واهمها :

١ — مناهضة الاستعمار في كل مكان ·

٢ — توطيد العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الشعوب ·

٣ — تأييد حركات التحرر الوطني ·

وهذه السياسة تلتقي مع رغبات الشعب الصيني ·

تأييد الجريدة للعرب

وعندما شن الانكليز والفرنسيون وصنيعتهما اسرائيل عدوانهم

الغادر على مصر ايدت الجريدة بكل حماس نضال الشعب العربي كله ضد المعتدين وكانت الجريدة تستلم يومياً بين ٨٠٠ — ١٠٠٠ رسالة تأييد .

وقامت مظاهرات جماهيرية كبرى تأييداً لنضال الشعب المصري وانتصاراً للعرب وكانت الجريدة تعكس تضامن الشعب الصيني مع شقيقه العزيز وشريكه في النضال الشعب العربي .

وقال رئيس التحرير : ان الشعب الصيني والشعب العربي تربطهما صداقة قديمة وتجمعهما المصالح المشتركة هي الكفاح المشترك ضد الاستعمار. والدفاع عن قضية الاستقلال والحرية ، والذود عن السلم العالمي ، وكانت جريدتنا تقتبس الصور من الجرائد المصرية ولا سيما جريدة الاهرام .

ان القسم المخصص لشؤون الشعوب الشرقية يأخذ « ثلث » الاقسام المخصصة للشؤون الدولية ، واثناء العدوان على مصر كنا نخصص صفحة كاملة اوا كثر من الجريدة لتأييد مصر وشجب العدوان .

سؤال : ماهي اجور العمال والمستخدمين في الجريدة .

جواب : معدل الاجر الشهري للعامل (١٠٠) ين

» » » للمحررين (٣٠٠) ين .

» » » على العموم (١٠٠ — ٢٠٠) ين

٨٥ ٪ من المحررين تعطى لهم دور باجرة شهرية مخفضة جداً تساوي « ربع » الاجرة المعتادة للدور المشابهة لها . واغلب الدور تؤثث للعمال ولا يدفع العامل أو المحررسوى « ١ من ١٠٠٠ » من قيمة الاثاث . وتوجد للجريدة عيادة طبية خاصة مجانية ودار حضانة للاطفال يدخل فيها الاطفال من عمر ٣ اشهر فما فوق .

اتحاد للصحفيين لعموم الصين : وظيفته

١ ــ تنظيم الروابط بين الصحفيين كافة بغية تبادل الاخبار وحل المشاكل

٢ ــ تنظيم الروابط مع اتحاد الصحفيين الدولي .

سؤال : هل توجد صحف للاحزاب الاخرى ؟

حواب : نعم . توجد صحف لكل الاحزاب مثلا .

حريدة (كوان مين ديلي) في بكين

وجريدة (بريد المساء) في شنغهاي

وهي جرائد ديموقراطية تصدرها الاحزاب الديموقراطية في الصين .

واخيراً : انتقد رئيس التحرير النواقص التي لازالت تعاني منها الجريدة كضعف طاقة الطباعة ورداءة المواصلات ، وبقايا الامية التي لم يتم الاجهاز عليها بعد .

ملاحظة : كانت نسبة الامية قبل التحرير تفوق ٩٠ ٪

اما الآن فان نسبة الأمية لاتزيد عن ٤٥ ٪

اتحاد الشبيبة

واتحاد الطلبة فى الصين

مع رئيس اتحاد الطلبة لعموم الصين ونائب السكرتير العام لاتحاد الشبيبة الديموقراطية لعموم الصين

(هو شي لي — Huchili)

اتحاد الشبيبة الديموقراطية الصينية هو منظمة تتكون من عدة منظمات مثل .

عصبة الشباب ، واتحاد الطلبة ، و Y. M C. A .

اهداف اتحاد الشبيبة : توحيد كل الشباب في العمل الانشائي للصين وتكوين الصلات مع منظمات الشباب الاخرى في العالم .

ويبلغ عد الشباب المنتمين لمنظمة اتحاد الشباب الديموقراطي لعموم الصين ٢٠ مليون شاب وشابة .

اما عدد اعضاء اتحاد الطلبة فهو ٤٠٢ آلاف .

ان اتحاد الشباب كما قلنا يتألف من عـــدة منظمات للشبيبة مثل منظمات : الـ Y. M. C. A. و Y W. C. A. وهما منظمتان تعملان لتوحيد الشباب المسيحي .

وشباب الاقليات الوطنيين : وعدد المنتسبين ٥ ملايين .

وشباب الصناعات والماليين : وعددهم : ١ مليون . وهم أولاد الرأسماليين ينظمون ويثقفون على اساس اشتراكي .

الشباب المسيحي : ٧٠٠ الف .

» المسلم في سنكيانج : ٤٠٠ ألف .

في منغوليا والتيبت : منظمة الشباب البوذي .

ولاتحاد الشباب الديموقرطي الصيني فروع في كل مدينة وقرية في الصين .

واجبات اتحاد الشبيبة

١ — رص صفوف شبيبة الصين وتوحيدها .

٢ — رفع مستوى وعيها السياســـي والثقافي وتربيتها بروح الماركسية وحفزها على مضاعفة جهودها لاكمال برامج البناء الاشتراكي في الصين .

٣ — يحل الاتحاد مشاكل الشباب كمشكلة الزواج وانجـــاب الاطفال .

٤ — يقوم الاتحاد بفعاليات اخرى كتنظيم المهاجرين العائدين الى الوطن الام من الغربة .

مالية الاتحاد . تعتمد على : ١ — الاشتراكات .

٢ — عائدات النشر .

٣ - يستلم معونة من الحكومة .

المقر العام لاتحاد الشباب : هو ملك الدولة وقدم هدية منها للاتحاد .

سؤال : هل كان الاتحاد قائماً قبل التحرير ؟

جواب : كلا . لقد انشيء بعد التحرير .

فقبل التحرير كان للشباب منظمات في بعض المدن وظروف العمل لهذه المنظمات تختلف :

ففي بعض المدن كان اتحاد شباب المدينة يقاد من مركز واحد على نطاق مدينة أو عدة مدن او اقليم حسب الامكان وحسب سهولة العمل في الظروف السرية الشاقة .

وفي بعض المدن لم يكن للشباب منظمة ديموقراطية .

وكان الحزب الشيوعي الصيني هو الذي ينظم شباب هذه المدن ويقودهم .

فعاليات الشباب قبل التحرير

لقد ساهم الشباب ومنظماتهم في حرب التحرير العظمى التي انتهت بالفوز النهائي في ١٩٤٩ فنظموا المظاهرات ضد القمع ولايقاف الحرب الاهلية التي كانت تشنها عصابة كايشك على الحزب الشيوعي تاركة اليابانيين الغزاة يفتكون بالبلاد ويكتسحونها اقليما بعد اقليم وكان جيش التحرير بقيادة الحزب الشيوعي يقاتل ضد الغزو الياباني وضد عصابات الخائن كايشك في الوقت نفسه .

سؤال : هل اتحاد الشباب الديموقراطي عضو في الجبهة الوطنية القائمة الآن في الصين ؟

جواب : ان منظمات الشباب تمثل جبهة وطنية موحدة للشباب من مختلف المذاهب والمعتقدات والانتماءات الحزبية والمراتب .

ان الجبهة الوطنية القائمة الآن تضم الاحزاب السياسية فقط . واتحاد الشبيبة ليس منظمة حزبية .

اتحاد الطلبة

تأسس اتحاد طلبة كل الصين عام ١٩١٩ ؛ وساهم الطلبة بنشاط كبير في حركة ٤ مايو الوطنية .

وفي كل سنة يعقد اتحاد الطلبة مؤتمراً سنوياً .

حل الـكومنتانغ ـ الحزب الذي اسسه الزعيم الوطني العظيم صن يات صن . على اسس وطنية ثم انحرف بعد ان تولى قيادته شيانكايشك ـ حل الـكومنتانغ منظمة اتحاد الطلبة عام ١٩٢٩ .

وظل اتحاد الطلبة لـكل الصين يعمل سراً من ١٩٢٩ - ١٩٤٩

خاض اتحاد الطلبة نضالات بطولية مع العمال وجماهير الشعب . خاض نضالات وطنية وديموقراطية ساعدت على فضح نظام شيانكايشك وتعبئة الشعب ضد نظام حكم الطغمة الفاسدة الاستعمارية الاقطاعية المغرقة في رجعيتها التي مثلها شيانكايشك صنيعة الاستعمار الامريكي .

عقد اتحاد الطلبة مؤتمره العام في ١٩٤٩ .

سؤال : ماهي اهداف الاتحاد قبل التحرير ؟

جواب : المهمة الرئيسية كما قلنا هي تعبئة كل قوى الطلبة لمقاومة حكم عصابة الـكومنتانغ الخائنة .

فالطلاب يكافحون مع الشعب باعتبارهم مواطنين اولا وطلاب ثانياً .

سؤال : كيف يجري الضبط والتنظيم في الاتحاد ؟

جواب : الضبط للهيئات القيادية قوي متين .

اما بالنسبة المنظمة كـكل فالتنظيم فيها خفيف وديمقراطي .

سؤال : هل يشكل البنات اتحاداً خاصاً للطالبات ؟

جواب : كلا ؛ الطالبات والطلاب يدخلون في اتحـــاد الطلبة ولا تفريق في التنظيمات ولافصل بين الجنسين .

سؤال : وطلاب المدارس المتوسطة ؟

جواب : يشكلون اتحادهم الخاص ؛ وهو جزء من اتحاد الطلبة العام .

سؤال : ماهي المهمة الآنية التي تحشدون لها الطلبة الآن ؟

جواب : نحشد الطلبة الآن في حملة مانسميه هنا في الصين (حملة تعديل الافـكار الخاطئة بين الشباب) .

◆

جامعة بكين

اصبحت جامعة بكين من الجامعات الشهيرة في العالم لمكانتها العلمية وكفاءة علمائها واساتذتها .

وتقع جامعة بكين في ضواحي مدينة بكين وهي تشغل مساحة شاسعة من الغابات والحدائق الجميلة والطرقات المبلطة النظيفة تنتثر فيها مباني ومختبرات الجامعة يبلغ عدد طلبة جامعة بكين ٧٥٠ طالب وطالبة وفيها عدد من الطلبة الشرقيين ، من كوريين وهنود وفيتناميين واندونيسيين وعرب من مصر وسوريا .

وجميع طلاب الجامعة ينتمون الى اتحاد الطلبة العام .

الدراسة في الجامعة مجانية ، ولا يدفع الطالب سوى اجور الطعام واذا صادف وتعرض الطلاب الى صعوبات اقتصادية فان الجامعة تعمل لحل هذه الصعوبات .

ويشكل الشيوعيون نسبة قليلة من طلاب الجامعة هي ٨٠٪ .

وتدرس اللغة العربية في جامعة بكين كما تدرس اللغات الانكليزية والفرنسية والروسية ، وقد تعرفنا بالاستاذ الصيني (سليمان) وهو مسلم صيني يتقن التكلم بالعربية الفصحى وقد تعلمها من جامعة بكين كما التقينا بعدد يقارب السبعين من طلبة القسم العربي في الجامعة وكانوا يتفاهمون معنا باللغة العربية وكلهم شباب لايتجاوزون الخامسة والعشرين من اعمارهم .

والجامعة غنية بوسائل الايضاح والمختبرات العلمية مما يجعلها في مصاف ارقى جامعات العالم .

حرية البحث العلمي والتفكير في جامعة بكين

جلسنا مع عميد الجامعة وبعض اساتذتها وتبادلنا معهم الاحاديث فابلغنا عميد الجامعة باسمه واسم كافة الاساتذة والطلاب خالص التحيات الاخوية الى شعوب بلادنا ، الى العراقيين والمصريين والاردنيين وسائر ابناء الامة العربية .

وهذه التحيات والعواطف الفياضة كنا نراها ونسمعها من كل شخص نلقاه في الصين ؛ فهؤلاء الناس الاخيار المتحررين الذين كسبوا حريتهم بعد كفاحات مريرة شاقة يقدرون نضالنا نحن العرب ويعطفون عليه كل العطف ويعتبرون انتصاراتنا في معاركنا الوطنية ضد الاستعمار كأنها انتصارات لهم بالذات .

ولقد حدثنا الناس في تعاونيات الحرفيين والمعامل والمصانع التي زرناها عن انباء المظاهرات العظمى التي قامت ابان العدوان الاثيم على مصر انتصاراً لمصر وشجباً للعدوان وكانوا يقدمون لنا قادة تلك المظاهرات ويعرفونا عليهم .

لقد كانت عواطفنا تجيش بالتأثر وعرفان الجميل لهؤلاء الناس الاخيار الشرفاء الاميين ، الاصدقاء المخلصين لنا في نضالنا العادل ، وكنا نشعر بمزيد من التفاؤل ومزيد من الثقة بالنصر مادام معنا كل هذه الملايين العديدة تقدم لنا يد المعونة المعنوية والمادية بلا ثمن وبنكران ذات . .

واليوم وقد زال العهد البائد وكابوسه عن بلادنا العزيزة نشعر بالفخر والسعادة لاعتراف جمهوريتنا لوطنية بالصين الشعبية وتوطيد اواصر الصداقة بين جمهوريتنا وجمهورية الصين الشعبية العظيمة .

ولنرجع الى اصل الموضوع ، الى حرية التفكير في الصين كلها وفي جامعة بكين بالاخص .

سؤال الى رئيس الجامعة : كيف تطبقون مبدأ (دع الازهار من كل الانواع تزدهر؛ ومئة مدرسة فكرية تتنافس) ؟ وهل تسمحون لكل استاذ بأن يضع الفلسفة التي يشاؤها ويدرسها للطلاب ؟

الجواب : اننا نسمح لكل استاذ ان يفكر بكل حرية طالما كان

رائد البحث العلمي والوصول للحقيقة ؛ ونحن نؤمن بان تنوع الافكار يقضي على الجمود العقلي ويشجع على ازدهار الفكر الخصب الحي ؛ ولو توصل احد علمائنا الى فلسفة مناهضة للماركسية فاننا لانقاومه بل نطلب منه ان يضع فلسفته امام النقاش العلمي العلني الواسع النطاق .

ونحن واثقون ان الماركسية هي التي ستنتصر في هذا النقاش وان الآراء المعادية لها هي التي ستهزم لاننا مؤمنون ان النظرية الماركسية اللينينية هي علم وليس عقيدة جامدة ؛ وانها مادامت علماً يقوم على الحقائق فلا بد ان يقويها النقاش ويصلبها حينما تدخل في صراع مع المذاهب المناهضة لها .

وقال رئيس الجامعة :

اننا بلد اشتراكي ونحن ننتصر لمذهب المادية الديالكتيكية ونعرف ان نشر هذا المذهب لا يمكن ان يأتي بالقوة والاكراه وبكبت الافكار الاخرى ؛ بل يأتي بالاقناع الصبور والمناقشة العلمية الهادئة وليس لهذا السير سوى نتيجة واحدة في النهاية الا وهي انتصار ساحق للماركسية وفلسفتها المادية الديالكتيكية .

ومضى رئيس الجامعة يقول : قبل عشرين يوماً ـ اي في ٢٢ حزيران ١٩٥٧ ـ برزت كتلة من طلاب الجامعة معادية للحزب وتطالب بحل اللجنة المركزية وتنتقد سياسة الحكومة ؛ وجاهرت بآرائها بين الطلاب . فماذا فعلنا معها ؟ .

لم نخبر البوليس عنها ولم نطلب اعتقالها ولم نتخذ قراراً بطرد

اصحابها من الجامعة .

وكل ما فعلناه اننا دعونا الى اجتماع واسع لطلاب الجامعة وطلبنا من هؤلاء ان يحضروا لمناقشة افكارهم . فحضروا ودارت المناقشات فماذا كانت النتيجة ؟

النتيجة : ان هذه الكتلة انهزمت في النقاش وشجبها كل الطلاب وارتد بعض اعضائها عن آرائهم واعترفوا بخطئهم علانية امام الطلاب .

وكل هذا انتهى باسلوب ديموقراطي علمي هادىء . .

ولكن الذى حدث ان احد اعضاء هذه الكتلة القى قنبلة على مقر لجنة الحزب الشيوعي في الجامعة .

وحينذاك انتهت الديموقراطية وبدأ دور الحزم ؛ دور دكتاتورية البروليتاريا وحزمها وصرامتها مع اعداء الثورة .

لقد القي القبض على هذا الطالب وزمرته وهم قيد المحاكمة .

ان الديموقراطية مع الشعب لاتنفي استخدام الدكتاتورية ضد اعداء الشعب .

مناقشة مع نائبة وزيرة الصحة
حول زيادة السكان وضبط النسل

تولي حكومة الجمهورية الشعبية اكبر الاهتمام لصحة الشعب ، فاذا كان شعب الصين سابقاً قبل التحرير عرضة لفتك مختلف الاوبئة والامراض الفتاكة فان شعار الحكومة الآن ، ومنذ التحرير ، القضاء على الامراض المستوطنة واستئصال مكامن المرض في كل مكان وهي تتوصل لذلك عن طريق :

١ ــ رفع مستوى الشعب المعاشي وتزويد السكان بمواد التغذية الرئيسية التي تعطيهم المقاومة الوقائية ضد المرض .

٢ ــ نشر شبكة واسعة النطاق من المستشفيات ، والمستوصفات في كل حي ومعمل وقرية ، وفحص السكان في المعامل والمدارس والدوائر والاسواق والقرى للتأكد من سلامتهم من كل مرض .

٣ ــ تنظيم حملة جماهيرية وطنية لمكافحة بعوض الملاريا ، بردم

المستنقعات ، ولقتل الذباب .

وكلنا سمع عن اسبوع ابادة الذباب الذي نظم في الصين حيث حمل جميع السكان ، حتى الموظفون والجنود ، التيل القوي وبرأســـه قطعة خشبية رقيقة على شكل دائرة وراح الجميع يتصيدون الذباب فى كل مكان حتى ابيد الذباب ابادة تامة ولم تجد ذباباً الآن في بكين او غيرها .

اليس هذا شعباً عظيما حقاً ؟ اليس هذا هو (الياجوج وماجوج) الذي كان حتى نابليون يخافه والذي كان يسميه الخطر الاصفر .

اجل انه الخطر الاصفر ، أو المارد الجبار ، الخطر الاكيد على الاستعمار العالمي والرجعية ، والقوة والسند المظيم للشعوب وللحركة الاشتراكية العالمية ، وحركات التحرر والسلم العالمي . .

ان الحــكومة ليست وحـــدها في هذا الميدان ، فكل المنظمات الشعبية ، النقابات والجمعيات ، تلقي المحاضرات وتنشـــر الصور وتنظم الافلام السينمائية وتستخدم المسرح وجرائد الجدران ، كلها تسخر لتنوير الشعب باهمية الصحة وطرق العناية بها والوقاية من الامراض . وعدم تناول المياه الآسنة ، وتحذر من العادات القديمة السيئة وتفضح خطرها .

واذكر اني شاهدت فيلماً في بكين يعرض مرض الملاريا ، فيصور البعوض كيف يلقح ويتكاثر وكيف ينتقل لجسم الانسان وكيف يتكاثر فيه ويدخل دمه ويحدث المرض الخ . . كل هذا يعرض على المـــلايين لتزويدهم بثقافة صحية رشيدة واعية .

سؤال : الى نائبة وزيرة الصحة :

ماهي اسباب حملة ضط النسل التي رأيناها في كل مكان ، حتى في قصور الثقافة المخصصة للعمال حيث شاهدنا آلاف الصور التي ترشـــد الناس الى كيفية ضبط نسلهم واهمية ذلك ؟

جواب : كانت المرأة الصينية قبل التحرير مستعبدة ولم تدخل ميدان المشاركة الفعلية للرجل في الحياة . اما بعد التحرر فقد دخلت المرأة بنشاط حقول الحياة العامة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فنشأت الحاجة للتعلم وبرزت معها الحاجة لضبط النسل لتمكين المرأةمن التعلم والعمل .

لقد اهتمت الحـكومة بعد التحرير بصحة النســاء والاطفال وشجعت ضبط النسل لصيانة صحة المرأة من التدهور .

كانت النساء تنجب كل واحد منهن عشر وا كثر من الاطفال وكان معظم الاطفال يموتون .

والملاحظ ان انسال الاطفال على هذه الصورة غير الخاضعة للضبط يجلب الضعف والامراض ويعقد المشاكل للمرأة والرجل ، ويقيد المرأة فيمنعها من لعب دورها في الحياة العامة ، فضلاً عما يجره عدم ضبط النسل من مجيء نسل ضعيف واهن مما يؤدي الى موت اكثره .

طرق ضبط النسل في الصين

ومضت نائبة وزيرة الصحة تقول : ان وزارة الصحة تشجع ضبط النسل بالمعارض والكراسات والافلام والمحاضرات ؛ ان الطريقة الفعالة لضبط النسل يجب الا تكون مؤذية للصحة .

سيحضر الآن دواء ويعمم استعماله . ان الكثيرت من العاملات طلبن استعمال هذا الدواء .

اننا الآن بصدد البحث على احسن دواء لضبط النسل ، لان الدواء الحالي لا يزال غالي الثمن ومؤذي للصحة ونحن نجري الآن تجاربنا الواسعة على الحيوانات وقد اثبتت هذه التجارب نجاحاً باهراً .

متوسط العمر

واضافت تقول : كان متوسط العمر للفرد الواحد قبل التحرير ٣٠ سنة ، اما الآن فقد ارتفع الى خمسين سنة .

كانت وفيات الأطفال قبل التحرير تصل احيـــاناً من ٩٠ – ١٠٠ ٪ هذا ولقد بدأت حملة ضبط النسل عام ١٩٥٦ على نطاق الصين كلها .

سؤال : كم هي زيادة السكان في الصين سنوياً .

جواب : يزيد السكان (٢٠) مليون سنوياً الآن وكانت هذه الزيادة اقل بكثير قبل التحرير .

سؤال : هل العناية الطبية مجانية لجميع السكان ؟

جواب : كلا . لم تصبح بعد العناية الطبية مجـانية لـكل فرد ولـكننا نعمل لنصل الى ذلك باسرع وقت بعد ان نوفر مستلزمات ذلك .

اما الآن : فان العناية الطبية « مجانية » لعمال المصانع والموظفين اما الآخرون فيدفعون نصف الاجرة فقط .

سؤال : هل يوجد اطباء يعملون لحسابهم الخاص لحد الآن ؟

جواب : نعم . ولـكن القيود قد وضعت لمنع استغلال الاطباء للجمهور فقد حددت اجور المعاينة والتداوي وغيرها بما لا يرهق المرضى.

هذا مع العلم ان المستشفيات والمستوصفات الحـكومية المجـانية تزداد يوماً بعد يوم وبامكان الجميع مراجعتها ، هذا ويوجد في الصـين مستشفى شهير لمعالجة مرض السل وهو الاول من نوعه وقـد خصص للمرضى من طلاب المستعمرات .

وعندما كنا في بكين سمعنا ان الـكاتب العراقي الديموقراطي غائب طعمة فرحان هو في مصح من مصحات بـكين فزاره احد اخواننا في المستشفى ، ودهش من عظمة المستشفى ورقي وسائل العلاج والفحص والمعاملة فيه . .

◆

زيارة الى :

سجن بكين المركزى

كيف يكون السجن في بلد اشتراكي ، اهناك تعذيب ، كروان قيود حديدية ثقيلة ، اهناك رياضة ومخدرات ؟ الخ . الخ . .

هذا ما اردنا الاطلاع عليه بانفسنا فتقدمنا برغبتنا هذه الى دليلتنا مسز شي وكنا نتصور ان هذه الرغبة سترفض اوتؤجل على الاقل حتى يشعرونا بعدم لياقة هذا الطلب ، فماذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة عكس ماتوقعناه تماماً ، فلبيت رغبتنا في الحال وامتطينا السيارات الى السجن دون ان نشعرادارة السجن علماً بزيارتنا مقدماً ، اردنا الاطلاع على الحالة كما هي .

وسارت بنا السيارات، وفجأة توقفنا ،فتصورنا اننا وصلنا السجن ولكن لا . . ان دليلتنا ، وهي من أهالي شنغهاي ، لاتعرف مكان السجن بالضبط فسألت من الاهلين عن محله ، ثم عدنا للسيارات بعد ان استعلمت مسز شي عن محل السجن المركزي الوحيد في بكين . . واخيراً وصلنا ابواب السجن . .

لم يكن امام باب السجن جمـــع من الحراس ولا ابواب حديدية مفزعة . . ولاشيء . . كان الباب طبيعياً ولا يوجد سوى حرس واحد على الباب .

واستأذنا فدخلنا لمواجهة مدير السجن .

فاستقبلنا المدير بحفاوة مشهورة عند الصينيين واراد منا الجلوس لشرب الشاي الصيني فاعتذرنا وطلبنا منه ان يسمح لنا ان نتجول في ارجاء السجن ونسأل السجناء ثم نعود لمواجهته حتى نستفيد منه بعض المعلومات الاضافية فوافق المدير بكل سرور .

واندفعنا الى داخل السجن .

والسجن هذا مساحة واسعة تنتشر فيها الحـــدائق والطرقات والابنية النظيفة . . بدأنا نسجل مانراه بأم اعيننا .

١ — يوجد في هذا السجن ١٥٠٠ سجين .

٢ — لايوجد داخل السجن اي حرسي مسلح او غير مسلح .

٣ لايوجد شيء يسمى غرف الرياضة قطعاً .

٤ — لاتوجد سلاسل في كل االسجن ، والسلاسل ممنوعة منعاً باتاً منذ تحرير الصين .

٥ — لاتوجد هراوات وتواثي لاخافة السجناء قطعاً .

٦ — ها نحن امام القسم الخاص بالنساء ، عرفنا ان للنساء جناح مستقل بهن وعدد السجينات ١٢٠ سجينة .

٧ - لايوجد لباس خاص يضطر السجناء على ارتدائه فلكل سجين ان يلبس ما شاء .

السجن اداة للتهذيب لا للانتقام

سألنا من بعض السجناء هل تشعرون ان ادارة السجن تعاملكم لغرض الانتقام ام لغرض الاصلاح والتقويم .

فاجاب - ليس المسؤول وحده بل جميع من كان واقفاً معه - : ان سياسة الحكومة هي سياسة تقويم اعوجاجنا وليس الانتقام قطعاً وان علاقتنا مع الادارة والسجانين علاقة اخوة واحترام متبادل ، تماماً كما هي العلاقة بين الجماعات المختلفة في مجتمعنا الصيني الاشتراكي .

لقد لاحظنا ان النظام يسود السجن والهدوء يشمله فلا تجد ذلك الهرج والمرج الذي تلقاه اذا دخلت سجن بغداد المركزي مثلا في العهد البائد ، ولاتجد كما هي الحال في سجوننا بعضاً من التعساء في ملابسهم القذرة الرثة وبعضهم يتبختر في ملابس جديدة نظراً ليسر حالته كلا : فجميع السجناء هنا يرتدون ملابس نظيفة ومتشابهة تقريباً : البنطلون الازرق والقميص والحذاء والجواريب . .

المعامل داخل السجن

يوجد في سجن بكين معملان كبيران احدهما للنسيج والاخر لصنع الجواريب بمختلف انواعها والسجن يصدر انتاجه للخارج

ويتقاضى السجناء عن عملهم اجوراً يومية مناسبة تحفظ لهم في صندوق توفير ، والاجور تختلف حسب المهارة وحجم الانتاج .

وساعات العمل ثمانية فقط .

جولة في غرف نوم السجناء

ودخلنا اجنحة النوم . . غرف على الجانبين تتسع كل غرفة لـ ٢ — ٨ من السجناء ولكل سجين سرير نظيف من القطن وعليه اغطية نظيفة والغرف تنظف وتعقم يومياً ولايسمح للمرضى بالاختلاط بالاصحاء .

جرائد الحائط

ووجدنا لوحات تشبه لوحات الاعلانات وعليها كتابة باللغة الصينية فطلبنا ان تترجم لنا بعض هذه الكتابات . .

وعرفنا ان هذه اللوحات يسمونها عندهم جرائد الحائط وهي مشهورة كثيراً في الصين وعلى هذه اللوحات تسجل يومياً أهم الاخبار السياسية اليومية واهم الانباء الداخلية .

النقد الذاتي

وهناك لوحات تخصص كل واحدة منها لسجين واحد ، والسجين حر في ان يكتب عليها نقداً ذاتياً اواعترافاً بالجرائم التي ارتكبها وندمه

ووعده باصلاح نفسه او اي شيء آخر يريد ان يكتبه بكل حرية وبلا تدخل من احد .

لقد ترجمت لنا عدة لوحات عن النقد الذاتي هـــذه ، وبعضها لجواسيس سابقين وعملاء لـكايشك وهم ينتقدون انفسهم بجرأة كبيرة ويحللون الاســـاليب التي دفعتهم لاقتراف الجرائم ، وكيف افاقوا على الحقائق ولماذا افاقوا ، وكيف انهم الآن يناضلون لاتمام اصلاح انفسهم وينتظرون خروجهم للمساهمة في بناء الصين الاشتراكية السعيدة .

ولقدعرفنا ان معظم السجناء حكموا عن جرائم : معاداة الثورة او التجسس والسرقة والنشل والجرائم الاخلاقية وان القسم الاغلب منهم كانوا معادين للثورة وحكموا بسبب ذلك ؛ ومن بين السجناء رأسماليون واقطاعيون سابقون .

تثقيف السجناء

تقوم ادارة السجن بتنظيم منهج لتثقيف السجناء بغية اصلاحهم وحملهم على الندم واعادة تربيتهم . وهذا التثقيف يشمل . .

١ – النقد الذاتي وتحليل العوامل الطبقية لاقتراف الجرائم .

٢ – تثقيف سياسي ، تدريس السياسة العالمية والسياســـة الداخلية للحزب الشيوعي والدولة .

٣ – تدريس مشروع السنوات الخمس .

٤ — تدريس وثائق المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الصيني .

٥ — تعليم الاميين .

وتنتخب العناصر المتقدمة في تفهم الدروس والمتقدمة في اصلاح نفسها كنماذج حية وقدوات حسنة .

مستشفى ومستوصف

ويوجد داخل السجن مستشفى فيه الكثير من الاسرة ، ومجهز باطباء اختصاصيين واشعة اكس . وارقى وسائل المعاينة والعلاج .

صالون حلاقة

وهناك صالون نظيف جيد للحلاقة يحلق فيه السجناء رؤوسهم مرة كل ٢٠ يوماً على حساب السجن .

سينما ومسرح

ولقد صادف يوم زيارتنا انهماك السجناء بالتدريب على مسرحية سيمثلونها على مسرح السجن ، وسيشترك بالتمثيل سجناء وغير سجناء ، وهناك دار واسعة للسينما تعرض افلاماً اصلاحية وتاريخية واجتماعية وصحية . وهناك ساحة واسعة لكرة القدم وساحة اخرى للتنس ، وهناك حمام عصرية ودوش ؛ ومكتبة مجهزة بآلاف الكتب مما يوجد في المكتبات العامة ، حيث جرت العادة ان تهدى دور النشر نسخاً من

كل كتاب للسجن ، وبين هذه الـكتب جميع مؤلفات ماركس وانجلس ولينين وستالين ، وماوتسيتونغ ولي شاوشي ، وكتب ادبية قيمة للوشين ومكسيم غوركي وشكسبير وغيرهم .

زيارات السجناء : تقوم ادارة السجن كذلك بتنظيم زيارات يقوم بها السجناء للمعامل والجامعة والمعرض الزراعي وغيرها . .

تنظيم وقت للسجناء : ساعات العمل ٨
» النوم ٨
» الدراسة ٢
» اللعب ٢

والساعات المتبقية من اليوم وهي ٤ حرة لتناول الطعام .

وهناك عطلة اسبوعية قدرها يوماً واحد .

طعام السجناء : تقدم لهم ٣ وجبات يومياً وتتألف من الخبز واللحم والفواكه .

وفي ايام الاعياد يقدم لهم طعام اكثر جودة ، كعيد ايار مثـــلا وعيد ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى وعيد تأســـيس الجمهورية الشعبية الصينية في ١ تشرين الاول من كل سنة .

وتكون مقابلة السجناء مرتين في اول كل شهر ومنتصفه .

الجوائز : ان السجناء المحسنين في عملهم ومن هم قدوات حسنة تمنح

لهم جوائز مادية ومعنوية .

﴿ اطلاق سراح السجين قبل انهاء محكوميته ﴾

وهناك نظام يقضي بان ادارة السجن اذا اقتنعت بان بعض السجناء قد صلح نفسه واصبح مواطناً جيداً قبل ان تنتهي محكوميته فلها الحق ان تطلب من المحكمة اصدار حكم باعفائه عما تبقى من محكوميته نظراً لانتفاء الحكمة منها . .

اطلعت ايها القاريء العزيز على هذا النموذج من السجون في البلدان الاشتراكية حيث يحترم الانسان ويصان كاثمن رأسمال في الوجود وحيث ينظر اليه ، حتى ولو كان مذنباً ، نظرة عطف واصلاح بغية اعادة صياغته مواطناً صالحاً مفيداً للامة والوطن . وعدم التفريط باي شخص كان اذا امكن اصلاحه وانقاذه من الاخطاء التي ارتكبها بفعل تأثيرات التناقضات الاجتماعية . او لاسباب اخرى معقدة كالفقر والحرمان والشعور بالغبن وغيرها .

ان السجن ليس عالماً مستقلا بذاته منفصلا عن المجتمع ، بل هو انعكاس عن المجتمع والنظام الاجتماعي .

واليوم ـ اي ٨ ايلول ـ قرأنا في الجرائد المحلية ان حكومتنا العزيزة الوطنية قد اصدرت الاوامر بالغاء تعذيب السجناء ورفع السلاسل عنهم في سجون العراق كافة .

اليس هذا انعكاساً طبيعياً لتلك السلاسل الثقيلة التي كان مجتمعنا يئن تحت وطأتها والتي كسرتها ثورتنا الوطنية العظمى ، ثورة ١٤ تموز التحررية ؟ . بلى . . بكل تأكيد .

فالاصلاح الاجتماعي الجذري على الاسس الاشتراكية الذي يبدل اليوم طابع الصين كلها ويقلبها من بلد شبه مستعمر وشبه اقطاعي متأخر متفسخ فقير بائس ، الى بلد اشتراكي ذي صناعة عصـــرية متطورة وزراعية تعاونية ، وثقافة وطنية اشتراكية ، بلد يزول فيه استغلال الانسان للانسان ، وينتفي فيه اضطهاد امة لامة . . نقول ان هـــذا الانقلاب الجذري في النظام الاجتماعي لابد ان يعكس اثره على السجون ايضاً على النحو الذي رأيته في الصورة المقتضبة التي قدمناها لك . .

◆

زيارة الى :

مزرعة تعاونية فى ضواحي بكين .

اسم المزرعة : كوپي تين .

تألفت هذه المزرعـــة من ٢٣٥٤ عائلة زراعية و ٥٤ عائلة اقطاعية ، عدد نفوسها الاجمالي ٩٨٥٤ ومساحة اراضيها ١٦٨٣٠ مو (كل ١٥ مو = هكتار) جميع الاراضي التي تؤلف التعاونية كانت بيد الاقطاعيين قبل التحرير .

وكان يملك كل فرد من العائلات الاقطاعية ٣٣ مو اما ما كان يملكه الفلاح فهو ٧٦ ٪ من المو فقط وكان ما يملكه ملاك الارض الغني = مايملكه ٤٣ مزارع وفي عام ١٩٥٥ كانت ٧ مؤسسات انتاجية تعاونية تتقاسم هذه الارض .

وفي عام ١٩٥٦ اندمجت هذه المؤسسات التعاونية الصغيرة السبع وشكلت تعاونية زراعية من الدرجة العليا وصارت مساحتها ١٥٨٩٣ وظلت بقية الاراضي محكومة للاشخاص تملك هذه التعاونية من الدرجة العليا ، ٣٠٤ حيوانات و ١٧٠ عربة وسيارة و ٣ طواحين لطحن الفول اليابس و ٣ مراكز لتربية الخنازير ، اما مساحة الـــبرك المخصصة لتربية الاسماك فتبلغ ٢٦٠ مو .

انتاج التعاونية : قبل التحرير كان معدل المو من الذرة ١٥٠ كيتي (الكيلو = ٢ كيتي) فارتفع انتاج المو الواحد الى ٣٤٠ كيتي عام ١٩٥٦ .

الحياة الثقافية : يوجد في المزرعة عيادة طبية و ٣ تعاونيات للتجهيز والتصريف .

في التعاونية : مدرسة متوسطة واحـدة فيها ١٠٠٦ طالباً وطالبة و ٦ مدارس ابتدائية فيها ١٦٠٣ وفيها سينما صغيرة والتعاونية مجهزة بالكهرباء والماء النقي .

حياة عائلة في المزرعة التعاونية

لم يكن الفلاحون في هذه العائلة قبل التحرير يحصلون الا على خبز خشن ولم يكن يحصل على طحين ابيض سوى ٤٠ ٪ منهم فقط .

ازداد دخل العائلة بمقدار ٧٨ ٪ عما كان الدخـل قبل الانضمام للتعاونية ، فلو ان دخلها قبل الانضمام للتعاونية كان مثلا ١٠٠ يوان فانه الآن ١٧٨ يوان بفضل الاندماج في التعاونية .

يوزع الدخل حسب ايام العمل ونوعية العمل . هذه هي اصول الحصول على العائدات في هذا النوع العالي من التعاونية .

وهناك انواع ابسط ، فالنوع البسيط جداً يأخذ كل فـلاح بمقدار مساحة ارضه التي دمجها في التعاونية وتبقى الحيوانات والخيول ملكه الخاص . والنوع الثاني : يأخذ الفلاح بمقدار مساحة ارضه وساعات العمل التي بذلها وتصير الحيوانات والخيول ملكاً عاماً .

أما النوع الثالث : أي الشكل التعاوني الكامل فيندمج كل شيء ، الارض والحيوانات ويصبح ملكا جماعياً ويقسم العائد حسب ساعات العمل التي بذلها كل فلاح ويبقى للفلاح حديقة بيته يزرعها بخضرات لنفسه وبعض الدجاج كذلك خاص لكل فلاح .

فرقة بناء المساكن : هناك فرقة لبناء المساكن وتسلم المساكن للفلاحين وهم يدفعون تكاليف هذه الدور في موسم الحصاد مرة واحدة او على اقساط حسب الشروط . وتبلغ تكاليف الغرفة الواحدة ٨٠ يوان.

الفلاحون الاغنياء : صودرت اراضي الفلاحين الاغنياء بلا تعويض في كل الصين بعد ان تم تحرير الصين كلها في ١٩٤٩ .

ومعلوم ان اراضي الاقطاعيين صودرت بلا تعويض ووزعت على الفلاحين الفقراء مجاناً .

ولكن هناك سؤال : لماذا صادرت الحكومة الشعبية اراضي الفلاحين الاغنياء بلا تعويض ؟

والجواب : ان وضع الفلاح الغني في الصين لايشبه وضعه في البلدان الاخرى اذ ان هذه المرتبة كبيرة العدد جداً في الصين وتستحوذ على مساحات شاسعة من احسن الارض فلو لم تصادر اراضيهم واكتفي بمصادرة الاقطاعيين لما امكن اعطاء الارض إلا لعدد محدود جداً من فقراء الفلاحين ولظل العدد الاكبر منهم بلا ارض .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان هذه المرتبة الكبيرة العدد تستغل الملايين من الفلاحين الفقراء استغلالا بشعاً وان قسما غير قليل منها يشكل قوة رجعية لعبت دوراً غير وطني في تاريخ البلاد .

صودرت اذن اراضي اغنياء الفلاحين وسلمت للفلاحين . دخل الفلاحون الاغنياء المصادرة اراضيهم كفلاحين عاديين في التعاونية منذ تأسيس التعاونية هذه في شكلها الاعلى ، وصار قسم منهم اعضاء في التعاونية والقسم الثاني مرشحين لعضوية التعاونية اما القسم الثالث فليسوا اعضاء ولا مرشحين ، رغم انهم يعملون في التعاونية . ان سلوك الفلاحين الاغنياء هو الذي يقرر قبولهم اعضاء او مرشحين او عدم قبولهم لا اعضاء ولا مرشحين .

سؤال : هل سبق ان قام بعض الفلاحين الاغنياء بتخريبات في التعاونية ؟

جواب : كلا ، لم يحدث هذا لانهم موضوعون تحت المراقبة .

سؤال : ماذا يعطى للاقطاعي والفلاح الغني من الارض بعد ان تصادر اراضيه ؟

جواب : يعطى ٣ر٣ ٪ مو لكل فرد من عائلة الاقطاعي والباقي صودر .

ويعطى ٥ — ٦ مو للفلاح الغني كحد اعلى والباقي صودر ..

قروض للتعاونية : ان حكومة الجمهورية الشعبية الصينية تساعد

التعاونيات لتمكينها من التطور والنهوض ، وهذه المســـاعدات متنوعة لاتقتصر على القروض بل تتعداها الى البذور ومواد التعقيم وغيرها . .

في عام ١٩٥٦ قدمت الحــكومة ١٤٣٫٠٠٠ يوان لشـــراء الحيوانات وادوية لقتل الحشرات وبذور . وذلك بفائدة قـــدرها ٧ من ١٠٫٠٠٠ على ان ترد خلال ٣ سنوات .

الضرائب : لم تكن الضرائب قبل عام ١٩٥٣ منظمة ومحدودة وبعد عام ١٩٥٣ نظمت الضرائب في هذه السنة كان على التعاونية ـ ولم تكن قد بلغت بعد مرحلتها العليا ـ ان تدفع ٢٨ كتي لكل مو على جميع انواع الارض .

الاصل الطبقي لرئيس المزرعة : رئيس المزرعةالذي يحادثنا كان فلاحاً فقيراً قبل التحرير يعمل في ارض مساحتها ٣ مو مؤجرة من اقطاعي اسمه تشينيو .

عمدة القرية : وهي امرأة ملابسها بسيطة نشأت فلاحة فقيرة من اسرة فلاحين فقراء . وصارت الآن عمد للقرية نظراً لنضالاتها الطويلة قبلة التحرير وبعده ضد حكم الكومنتانغ المتفسخ الرجعي وضـــد الاقطاعية واسم هذه العمدة « Chen شن » .

الامية بين الفلاحين : يبلغ عدد الذين لازالوا اميين ٢٠٠٠ فرد من اصل مجموع ٩٨٥٤ وتوجد في القرية ٦ صفوف لتعليم الامية . ومعظم هؤلاء الـ ٢٠٠٠ من كبار السن .

ان معظم الفلاحين يرسلون اولادهم للمدارس ، ولم يسن بعد قانون التعليم الالزامي للمرحلة الابتدائية في الصين .

وتستعد الحكومة لتطبيق الزامية التعلم للمرحلة الابتدائية باقرب وقت .

الامراض المنتشرة : اهمها الانفلونزا التي تصيب ٨٠ ٪ من سكان القرية .

التشكيلات الادارية للتعاونية

ان اعلى سلطة في التعاونية هي الجمعية العمومية للتعاونية اي الاجتماع العام لاعضاء التعاونية .

والجمعية العمومية هذه تنتخب من بينها اللجنة الادارية وعدد اعضائها ١١٣ عضواً .

اللجنة الادارية المكونة من ١١٣ عضواً تجتمع وتنتخب من بينها اللجنة التنفيذية وعدد اعضائها ١٩ عضواً .

واللجنة التنفيذية المكونة من ١٩ تنتخب من بينها المدير ومعاونيه .

ان المدارس الابتدائية في القرية تابعة لادارة القرية .

اما المدارس المتوسطة فتتبع وزارة التربية والتعليم .

حاصلات هذه التعاونية هي القطن والقمح والخضرات .

اردنا ان ننهي زيارتنا لهذه التعاونية بزيارتنا مدرستها المتوسطة وطلابها . فذهبنا اليها ومعنا عمدة القرية (مسز شن) فوجدنا مدرسة منظمة ادق تنظيم وتقع في بقعة جميلة من القرية ودخلنا مختبراتها فاذا فيها ادوات كافية يندر ان تجد امثالها في اية مدرسة متوسطة أو ثانوية في العراق ثم تحلق حولنا طلابها وحيونا بالهتافات الحارة بحياة الصداقة العربية الصينية .

اردنا ان نداعب اصغر الطلاب سناً فسألناه هل تعرف شيئاً عن العراق ؟ فتوقف قليلا يفكر ، ثم عاجلناه بكلمة ناصر فانتفض كمن تذكر وقال اعرف الرئيس جمال عبدالناصر قائد العرب واعرف قناة السويس لانمدرستنا هذه تضاهرت اثناء العدوان على قناة السويس ضد العدوان الاستعماري على مصر .

وتقدمت منا مديرة المدرسة فسألتنا . متى يزور الرئيس عبدالناصر الصين فهو قدوعد بزيارتها ؟ اجبناها سيزورها على الاغلب خلال الشهور القليلة القادمة ففرحت واستأنفت قائلة : لنا عندكم رجاء واحد ، فقلنا ماهو ؟ قالت ان تبلغوا تحيات هذه المدرسة للرئيس ناصر ورجاءنا له ان يزور مدرستنا عندما يزور الصين ، فأجبناها وقد تأثرنا بالغ التأثر من كلامها : نعدكم اننا سنبلغه هذه الرغبة النبيلة وهو سيزور مدرستكم

وما ان انتهينا من كلامنا حتى ضجت المديرة وكافة الطلاب بهتاف حار وتصفيق حاد وفاضت الدموع من عينيها فرحاً وحبوراً وكذلك شأن طلاب المدرسة وكان منظراً مؤثراً افاض دموع التأثر من عيوننا ، واني اذكر بكل وضوح ان الاستاذ يحيى حمودة رئيس نقابة المحامين الاردنيين يذكر هذه الحادثة تماماً ، يذكر كيف فاضت الدموع من عينيه وعيون الآخرين .

كان لهذه الحادثة التي لاتنسى دلالتها البالغة على حب الصينيين الصادق للعرب وعلى شعبية الرئيس عبدالناصر التي وصلت حتى الى هذه القرية الصينية في ضواحي بكين .

◆

زيارة الى :

البرلمان الصيني

اردنا زيارة البرلمان الصيني او مجلس ممثلي الشعب لحضور احدى جلساته والاتصال هناك مع شواين لاي رئيس مجلس وزرا الصين ..

ان المجلس هو احد القصور القديمة اتخذ بعد التحرير مقراً لممثلي الشعب الصيني الحقيقيين .

يتكون ممثلو الشعب من اكثر من ١٠٠٠ رجل وامرأة وهم من الفلاحين والمثقفين وقادة الجيش وقادة عسكريين سابقين ..

ليس في المجلس مظاهر الابهة الكاذبة التي نراها في مجالس النواب المراقيين ابان العهد البائد . وانما هم رجال ونساء بسطاء متواضعون يتحملون امانة مقدسة ويأتون لادائها كما يؤدي أي عامل او موظف واجبه تجاه الامة والشعب .

كان الطقس حاراً ولم نجد مراوح كهربائية في المجلس وكل النواب والنائبات يحملون بايديهم المراوح الصينية .

كانت الجلسة التي حضرناها مخصصة لبحث الميزانية ، وقدم

وزير المالية تقريراً عن ميزانية السنة الجديدة ثم جاء التصويت عليها فرأينا جميع الحاضرين يرفعون اياديهم بالموافقة ويصفقون علامة التأييد المطلق .

ورأينا على منصة الرئاسة اعضاء المكتب التنفيذي الدائم للمجلس وبينهم شوتيه وكوموجو ولي شاوشي وغيرهم .

وضروري ان نعرف ان هؤلاء النواب ليسوا كلهم في الحزب الشيوعي الصيني ففيهم شيوعيون ونواب ينتمون لاحزاب ديموقراطية اخرى في الصين ولكن جميع هذه الاحزاب قد تطهرت من عناصرها الفاسدة وصقلت وتحولت الى احزاب تؤيد الاشتراكية وتلتقي - وضروري ان تلتقي - مع الحزب الشيوعي في نقطة عامة اساسية وهي بناء النظام الاشتراكي والقضاء على بقايا الرأسمالية وان كانت لها اجتهاداتها الخاصة في هذه القضية او تلك من التفاصيل في التطبيق . وكانت قبل مدة قد تكتلت داخل المجلس عناصر يمينية تشكت من السرعة التي يسير عليها بناء الاشتراكية وطالبت ان تعطي الاولوية لانتاج مواد الاستهلاك وليس لانتاج ادوات الانتاج. ولكنها فضحت ككتلة معادية للاشتراكية والثورة وخسرت سمعتها وسحب الناخبون ثقتهم من افرادها .

ان الصين هي دولة اشتراكية ، اي انها نظام دكتاتورية الطبقات الاربع : الطبقة العاملة والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية

الوطنية . وهي في الجوهر دكتاتورية الطبقة العاملة والفلاحين بزعامة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي المظفر ؛ الذي خاض طريقاً صعباً مليئاً بالآلام والتضحيات وقاد اعظم ثورة تاريخية بعد ثورة اكتوبر .

ان برلمان الصين هو اصدق برلمان يعكس الشعب ورغباته وطموحه فهو على نقيض برلمانات الدول الرأسمالية والرجعية الاخرى ليس فيه رأسمالي واحد ولا اقطاعي واحد — لان كلتان الطبقتين زالتا من الوجود — وليس فيه سوى ممثلي الشعب الحقيقيين : العمال والفلاحون والمثقفون والمحاربون الابطال .

ان ما يقارب ثلث اعضاء البرلمان من النساء ، وهـذا هو المعنى الحقيقي لتحرير المرأة ومساواتها بالرجل من كل الوجوه .

انتظرنا في ساحة المجلس حتى تنتهي الجلسة . وطال الانتظار حتى انفضت الجلسة ، وخرج النواب . . ياللعجب . . كلهم اناس من غمرة الشعب لا ميزة فيهم سوى اخلاصهم ونضالاتهم السابقة وتفانيهم لقضية الاشتراكية والثورة وانصهارهم في خدمة الشعب الصيني والامة الصينية .

ان ملابسهم عادية كملابس الناس الذين نراهم في الشورع كملابس العمال والفلاحين تماماً ، ولا عجب فهم عمال اوفلاحون . . جاؤا من المعامل والمزارع والدوائر وسيعودون اليها . . سيعودون سيراً على الاقدام . . فخارج المجلس لاتوجد الف سيارة تحمل هذا الالف والمثتين من النواب ، كلا لايوجد على ابواب المجلس اكثر من عشـرة

سيارات . . ولكن يوجد الكثير من الدراجات ، نعم نفس الدراجات التي يستعملها العمال والطلاب في شوارع بكين .

اننا لم نألف رؤية هذا النوع من النواب . لان العهود البالية قد جعلتنا نربط بين النيابة وبين الفخفخة ، النائب عندنا لابد ان يكون اقطاعي كبير او رأسمالي كبير ، او محترف سياسي مباع للاستعمار ولا حرفة له الا التقلب في النيابات والوزارات ، والفنا ان نجد سيارة تنتظر خروج كل نائب ، سيارة فخمة كاديلاك او مرسيدس على احدث موديل اما ان يدخل المجلس عامل واحد ـ وفي العراق طبقة عاملة يربو عددها على المليون ، اما ان يدخل المجلس مثقف شعبي فهذا غير مألوف وان وقع فهو شذوذ لايقاس عليه . . هذه مجالس نوابنا قبل ثورة تموز التحررية ! وهذا مجلس النواب في الصين ، فما اعظم الفرق ؟ ! •

مقابلة مع شوان لاي في المجلس

واخيراً ، وبعد ان انفضت جلسة المجلس طلع علينا الثوري العظيم رئيس وزراء الصين شواين لاي بسماته ورصانته وسيماه النبيل ، كان الرجل عادي المظهر ولا يظهر عليه اي شيء قبل ان يتكلم فاذا تكلم عرفت فيه الشخصية القوية والحس المرهف والذكاء الحاد والايمان المطلق بقضية شعبه وكل الشعوب المناضلة .

كنا عدد كبيرمن المدعوين العرب؛ ومندوبو دول امريكا اللاتينية والهند وسيلان وغيرها .

يقول غوته الشاعر الالماني : ان المظهر النبيل يحدث اثراً عظيما وحقاً : ان مظهر الرئيس شواين لاي احدث اثراً عظيما فينا وفي كل المدعوين . واخذ يصافحنا واحداً واحداً بحرارة اخوية وترحاب حار ويقف مع هذا الجمع من الهنود امام الكاميرا لالتقاط الصور ثم مع مع مندوبي سيلان والعرب : السوريين والمصريين والاردنيين والعراقيين .

واول كلمة قالها ملتفتاً للحضور : كيف وجدتم الصين ؟ هل رأيتم الجدار الحديدي ؟ الم تتجولو بحرية في بلادنا ؟ نحن نريدكم ان

تقولوا الحقيقة لشعوبكم .

واردف قائلا : ومع ذلك فان دالاس لايريد ان يعترف بنا ولا بوجودنا .. انهم لايضرونا نحن ولكنهم يضرون انفسهم .. اما نحن فموجودون وسائرون .



صورة تذكارية لزيارتنا للصين عام ١٩٥٧ ويظهر فيها رئيس وزراء الصين شواين لاي والى يساره الاستاذ المحامي عامر عبد الله وبينهما الاستاذ عزيز شريف والى اليمين يظهر الاستاذ حسن فؤاد ويساره حميد حمدي مع مندوبي دول امـــيركا اللاتينيه والهند وغيرها . وقد اخذت هذه الصورة في البرلمان الصيني .

❀ مع المندوب الياباني ❀

ثم التفت الرئيس للمندوب الياني وقال : ماذا رأيتم من النواقص عندنا ؟

فقال المندوب : زرنا مصانع النسيج في بكين انها متقدمة حقاً ولـكن اليابان تملك مصانع اضخم منها .

فهز رأسه وقال : انتم بلد مصنع ونحن ننهض من الحضيض .

وكان الرئيس يتكلم بالصينية والمترجم ينقل كلامه للانكليزية ؛ وحسبناه لايحسن الا الصينية ؛ فأخطأنا . .

إذ بينما كان يتكلم للمترجم عن الطريق التي ســـارتها الصين وكيف انها طريق صعبة . . ترجم المترجم كلة الرئيس فــلم تعجب الرئيس وبدل المترجم ولم يحسن المترجم الثاني وضع الـكلمة المناسبة فبدله بثالث حتى توفق الثالث فقال انهـــا طريق Turtured اي مليئة بالصعوبات والعذاب فاستراح الرئيس لهذه الـكلمة مما دلنا انه يتقن الانكليزية ولـــكنه لايريد ان يتكلم الا بلغته الصينية .

❀ مع العراقيين ❀

ثم جاء للرئيس الى جانبنا فتصورنا نحن والاخوان الاردنيين معه وقال موجهاً كلامه للعراقيين . . ان نفط بلادكم هو سبب البلاء عليكم . . ثم اضاف قائلا : ولـكن نفطـكم هو نفســـه سيحرق

المستعمرين ويكون وبالا عليهم .

ثم قال : ان طريق تحرركم شاق وطويل ؛ فانتم تحتاجون الى التروي والصبر والمثابرة .

كان هذا الكلام في تموز من عام ١٩٥٧ ؛ وتحققت ثورتنا العظيمة بنبوءة هذا الثوري العظيم في تموز عام ١٩٥٨ ؛ فيكون نفطنا وبالا على المستعمرين ونعمة لنا ولقد حرقهم نفطنا .



صورة تذكارية في البرلمان الصيني مع رئيس الوزراء شواين لاي ويظهر فيها كوموجو ومندوبي دول امريـــكا اللاتينية والعراق والاردن ومصر .

وقعت لنا هذه الحادثة بعد مقابلتنا مع الرئيس . . ففي امسية احد الايام كنا في ممرات الطابق الاول من الفندق الذي نزلنا فيه (فندق بكين) كنا ننتظر حضور احد اخواننا في غرفته في الطابق الرابع وبينما نحن على هذه الحال اذا برئيس الوزراء شواين لاي يمر من بيننا وليس معه سوى شخص مدني واحد هو المترجم ؛ وكان يمشي بسرعة وقصد احد طوابق الفندق لزيارة احد المدعوين في غرفته اذ كان مريضاً . .

وخرجنا الى باب الفندق لنرى الحرس الذي رافق الرئيس فلشدما دهشنا حين لم نر سوى سيارته مع سائقها وليس بصحبتها اي حرس لا مدنيون ولا عسكريون . .

لقد اخذ منا العجب ؛ كيف يتنقل هذا الرجل العظيم لوحده بلا حرس ؟ ولكن العجب زال عندما تذكرنا اننا هنا في الصين ؛ في بلد الاشتراكية وان رجال الحكومة هنا لايحتاجون الى حرس يحرسهم من الشعب ؛ لان الشعب نفسه يحرسهم لانهم ممثلوه الحقيقيون وقادته المتفانون وابناؤه البررة .

◆

مقابلة مع شوتيه

كان الاستاذ لطفي الخولي ؛ زميلنا في السفرة ؛ قد قــدم طلباً لمقابلة الرئيس ماتسيتونك ؛ ووجه عدة اسئلة صحفية واراد الجواب عليها . .

ولــكننا في اليوم الثاني ؛ ومن غير انتظار ؛ فوجئنا بدليلتنــا مسز شي تطلب الينا الاسراع لمقابلة شوتيه القائد العام لقوات جيش التحرير الشعبي ووزير الدفاع .

فذهبنا على عجل . ودخلنا بناية ضخمة اظنها تابعة لوزارة الدفاع وجلسنا مع الرجل العظيم شوتيه على منضده مستطيلة . وبدأ شوتيه قوله :

ارجوكم اولا ابلاغ تحياتي شخصياً وتحياة الشعب الصيني كله للرئيس المحبوب جمال عبدالناصر ؛ واننا هنا في الصين نترقب بسرور زيارته (اي الرئيس عبدالناصر) للصين .

وان نضال مصر والشعب العربي كله ضد العدوان الثلاثي الاثيم والانتصارات التي احرزها العرب في سبيل كســب الاستقلال التام والتطور لهو كسب وانتصار لنا نحن في الصين .

ثم قال احدنا معقباً على قول شوتيه : اننا نقدم باسم العرب اجمع شكرنا القلبي لشعب الصين وحكومتها على المساعدة الاخوية والتأييد القلبي التي قدمت لمصر والعرب مما كان لها ابلغ الاثر في مساعدتنا على دحر العدوان واحراز النصر .

فاسرع شوتيه للقول : بالعكس نحن الذين يجب ان نشكركم لانكم ناضلتم من اجلنا ايضاً وقارعتم نفس العدو الذي نقارعه نحن هنا في الصين الا وهو الاستعمار .

واضاف قائلا ان العرب والصينيين لهم نفس القضية انها قضية خدمة السلام العالمي والقضاء على الاستعمار والدفاع عن حق كل الشعوب في تقرير مصيرها وتطوير المجتمع كله في درب الاشتراكية الظافرة .

سؤال من احد الاخوان : مارأيكم في الدروس التي يمكن استخلاصها والافادة منها بالنسبة لنا نحن العرب من ثورة الشعب الصيني ؟

جواب : اننا نتعلم الكثير من نضالاتكم الباسلة والدروس الثمينة التي تحتويها . وانه بلا شك يمكنكم تعلم الكثير منا كما يمكننا تعلم الكثير منكم . .

واذا كان لابد من توصيات ودروس نريد استخلاصها من ثورة الشعب الصيني فان اهم مانستخلصه شيئين :

١ ــ ضرورة ايقاظ الشعب كله ودفعه الوعي السياسي .

٢ — ضرورة توحيد الشعب كله في جبهة وطنية موحدة ، اذ بدون توحيد الشعب كله يستحيل احراز النصر .

وتكلم الاستاذ يحيى حمودة رئيس نقابة المحامين في الاردن فقال :

اننا سنعود الى ديارنا مستفيدين الكثير من تجربتكم الغزيرة وسنحاول تطبيق مارأيناه .

فرد عليه شوتيه حالا بقوله : ان نسخ التجارب نسخاً هو عمل خاطىء كل الخطأ . ينبغي الاستفادة من تجارب تطور الحركات الوطنية في كل بلد ولكن لايمكن تطبيق ماهو ناجح في بلد على بلد آخر ، لان لبلادكم ظروفها الخاصة ولها شروط لتطورها في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتاريخية ، وان مراعاة تاريخ وطبيعة الحركة الوطنية في كل بلد هو امر ضروري تؤكد عليه الماركسية كل التأكيد .

شخصية شوتيه

لقد كان اعجابنا عظيما بهذا الرجل الفولاذي ، انه كان يتكلم والابتسامة الوديعة على شفتيه وكان يسوق كلامه بهدوء ودقة واحكام .

كان هذا المجاهد الثوري رئيساً لاركان حرب جيش التحرير الشعبي من عام ١٩٢٧ حتى الآن وهو من اركان الحزب الشيوعي الصيني

المجيد قائد ومنظم ثورة الصـــين الظافرة . وتروى عنه قصص تشـبه الاساطير ، فقد كان شوتيه عسكرياً كبيراً قبل ١٩٢٧ وهو من اسرة اقطاعية . وكان مدمناً على الافيون منذ نعومة اظفاره وكانت له عيوب كثيرة ولـكنه كان الى جانب ذلك يملك فضيلة كبرى هي حبـــه المظيم للشعب ، فاستطاعت هذه الفضيلة ان تستحوذ عليه وتوقضه ومكنته من ترك الافيون والتبرؤ من جميع العادات السيئة بهمة العملاق .

وقد التحق بالحزب الشيوعي والثورة وظل يناضل من ذلك الوقت حتى هذه اللحظة نضالا بطولياً جباراً متحملا في سبيل الثورة جميـع التضحيات والمشقات ، فانصقل ليس كقائد صيني فحسب بل كقائد اممي عظيم ايضاً .

◆

مع حسن رجب
سفير الجمهورية العربية المتحدة في الصين

لم يكن للعراق سفير في بكين قبل ثورة ١٤ تموز العظمى ، وكان ذلك شيئاً مؤسفاً ومخجلا جداً .

وكان سفير الجمهورية العربية المتحدة – سفير مصر آنذاك ـ هو الوجه المشرق والمثل الصادق ليس لمصر او الجمهورية العربية فيما بعد بل للعرب اجمع .

لقد كان بحق سفير العرب في جمهورية الصين الشعبية .

وحينما علم بوجودنا في بكين وجه دعوة لنا حضرها جمع كبير من الشخصيات الصينية كان منهم الشخصيتان المعروفتان في البلاد العربية برهان الدين شهيدي وكوموجو .

وقد تجلت في حفلة الشاي هذه عواطف الود والصداقة التي يكنها الصينيون والعرب بعضهم لبعض .

ولقد علمنا فيما بعد ان حسن رجب ظل يعمل لتعزيز اواصر

الصداقة والود بين شعب الصين وشعب الجمهورية العربية المتحـــدة ، فـكان يساهم مساهمة رمزية في مشروعات بناء السدود العظيمة لايقاف الفيضانات المدمرة ولخزن المياه وحفظها .

ولقد نشرت له صورة وهو يحمل الرفش بيده ويقلب الـــتراب مخصصاً ساعة من يومه المساهمة في بناء الصين الاشتراكية الجديدة .

◆

ثلاثة أيام في شنغهاي

تشتهر مدينة شنغهاي باعتبارها اكثر مدن الصين نفوساً ، بل اكبر مدينة في الشرق كله ويبلغ عدد نفوسها سبعة ملايين نسمة . وهي ميناء بحري هام في المحيط الهادي .

كانت هذه المدينة العظيمة قبل التحرير مقسمة الى مناطق نفوذ لانكلترا وفرنسا وامريكا واليابان ، وكانت هذه الدول تقتسم المدينة فعلا وتضع الحدود والحواجز بين منطقة واخرى ، وكان يترتب عليك ان تحصل على اجازة المرور من منطقة لاخرى رغم انك تسير في شارع واحد .

ان تاريخ هذه المدينة البطلة يقترن بتاريخ الثورة الصينية وتاريخ الحزب الشيوعي ففيها ، وهي اكبر مدينة عمالية ، نشأت نواة الحزب الشيوعي ، وفيها نهضت اكبر الحركات العمالية المجاهدة وتاريخها مجلل بتلك البطولات العظيمة التي سجلتها بروليتاريا شنغهاي في معارك النضال الوطني والطبقي على السواء .

ولهذه المدينة الفضل في انجاب ابرز قادة الحزب الشيوعي الصيني

والحركة العمالية الصينية المجاهدة .

﴿ زيارة متحف الحزب الشيوعي ﴾

قمنا بزيارة متحف الحزب الشيوعي الصيني ، ويقام هذا المتحف في نفس الدار الصغيرة التي عقد فيها اول مؤتمر للحزب الشيوعي الصيني المجيد سراً ، وكان البوليس السري لحكومة شيان كايشك قد شعر بالاجتماع ، ولكن المجتمعين احسوا بالمراقبة ايضاً وتمكنوا من الافلات من قبضة البوليس قبل دقائق من مداهمته الدار .

تعرض في هذا المتحف صور منظمة حسب التواريخ لاعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في مختلف العهود ، ولشهدائه وابطاله ، وللجرائد والمجلات التي كان الحزب يصدرها سراً الخ .

﴿ قصر الثقافة ﴾

وكان من اروع مشاهداتنا في شنغهاي زيارتنا لقصر الثقافة المخصص للعمال في هذه المدينة العمالية الكبرى . يقع هذا القصر الفخم في وسط مدينة شنغهاي وكان سابقاً قصراً لاحد الرأسماليين الانكليز فصودر بعدالثورة واعطى للعمال ليكون قصراً للثقافة والتسلية المفيدة . ويتكون هذا القصر من عدة طوابق خصص كل طابق لشيء معين فهذا الطابق معرض للصور الزيتية وغير الزيتية التي يرسمها هواة الرسم من العمال .

والطابق الآخر مخصص للمكتبة والمطالعـــة واستعارة الكتب والثالث مخصص لتعليم الموسيقي بمختلف الآلات الصينية والعالمية .والطابق الآخر مخصص للتمثيل والرقص والغناء وطابق آخر خصص ليكون معرضاً للثورة يعرض لك صوراً تاريخية عن المعارك التي خاضتها الطبقة العاملة الصينية والاضرابات الكبرى والمظاهرات ،والمعارك مع البوليس ، واسلحة العمال لمقاومة البوليس ، نماذج من نفس تلك الاسلحة . كما نرى صوراً لابطال تلك المظاهرات والاضرابات والذين استشهدوا فيها وتجد في كلها مساهمة المرأة الصينية مساهمة فعالة في جميع تلك النضالات الثورية المجيـــدة .

ويوجد طابق من هذه الطابق خصص كمقهى لاستراحة العمال وهو مزود بجميع انواع الالعاب ولاسيما الشطرنج .

هذا عـدا عن صالات السينما والمسرح والرقص والتمثيل ولـكل عامل ان ينتمي لقصر الثقافة هذا وليس عليه سوى دفع بدل اشتراك شهري زهيد جداً .

ان هذا البدل يسد جزءاً ضئيلا فقط من نفقات الشاي او المبردات او الاشياء الاخرى التي يتناولها العامل كل يوم في هذا القصر .

لقد شعرنا في شنغهاي وفي غيرها من المدن اننا في بلد اشتراكي حقاً ، فالسادة هنا في هذه البلاد ليسوا الرأسماليين ولا الاقطاعين ، كلا . السادة هنا هم الشعب نفسه ، وفي طليعته الطبقة العاملة قائدة الشعب الصيني واوعى طبقاتـــه واكثرهـــا مراساً وحكمة وتقديراً للمســـؤولية .

طبع في مطبعة البرهان ـ بغداد

١٩٥٨